التحذير

من مهددات الأمن العقدي والفكري

دراسة في ضوء السنة النبوية

الأمن الفكري

الأمن الفكري

الشيخ الدكتور

عبد الرحمن بن معلا اللويحق

التحذير

من مهددات الأمن العقدي والفكري

(دراسة في ضوء السنة النبوية)

تأليف:
الدكتور: عبد الرحمن بن معلا اللويحق

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الهادي إلى الصراط المستقيم، وهو المستعان على سلوك الطريق القويم، له الحمد في الأولى والآخرة، وله الحكم، وإليه ترجع الأمور، وبه المعتصم من الأهواء المردية، والضلالات المهلكة.

وأشهد أن لا إله الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله البشير النذير والسراج المنير.

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد.

أما بعد:

فإن الاختلاف والتباين بين الناس في الأفكار والتصورات سنة من سنن الله في الخلق لا يمكن مغالبتها يقول الله - عز وجل-:{ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ }[هود: 118-119].

وإذاً اختلف الناس فإن من طبائعهم التأثر والتأثير: {وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً}[النساء:89]، {وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ }[البقرة:109]، { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ }[آل عمران:100].

ونبينا محمد -ﷺ- بعث بالهدي ودين الحق {هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ} [التوبة:33].

ورسالته جاءت لإقامة الناس على الحق، وتحذيرهم من سبل الضلال.

ففي الفاتحة:{ اهدنا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ } [الفاتحة: 6-7].

والله - عز وجل- لما قص على نبيه جملة من قصص الأنبياء قال:{ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ *وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ}[هود:112-113].

ونهانا - عز وجل- أن نفترق، أو نصير إلى شيء من طرق الضالين {وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ }[آل عمران:105].

وهذا البحث جاء؛ لبيان جانب من المنهج النبوي في حماية الأمة، وتحصينها من الانحراف في الاعتقاد والفكر.

وذلك بتتبع النصوص الواردة في التحذير مما يهدد الأمن العقدي والفكري للأمة، وتلخص من ذلك جملة من المباحث على النحو التالي:

المبحث الأول: التحذير من الفرق المخالفة لمنهج الحق.

المبحث الثاني: التحذير من أعمال أهل الضلال: ومنها: الغلو.

المبحث الثالث: ذكر أخبار الأمم لأخذ العبرة من أسباب ضلالهم.

المبحث الرابع: التحذير من أوصاف معينة.

المبحث الخامس: التحذير من الإحداث والابتداع.

المبحث السادس: التحذير من الفتن.

المبحث السابع: التحذير من الدجال.

المبحث الثـــــــامن: التحـــــــذير من التلقي عن الإسرائيليات.

المبحث التاسع: التحذير من الأئمة المضلين.

المبحث الأول

التحذير من الفرق المخالفة لهذا لمنهج الحق

لقد حذرت السنة من فرق الضلال، وأمرت بلزوم الحق، ورأس ذلك بين في قوله -ﷺ-:" افتَـرَقَت اليهـود على إحـدى أو ثنـتين وسبعين فِرقةً، وتَفرَّقت النصارى على إحدى أو ثنـتين وسـبعين فرقةً، وتفتَرقُ أمَّتي على ثلاث وسبعين فرقة "[1].

ولقد جاء التحـذير مبينـاً بوجه أخص خطر الخـوارج، وعظيم ضررهم على الأمة.

والخوارج:(صنف من المبتدعة يعتقدون أن من فعل كبـيرة كفر، وخلد في النار، ويطعنـون لـذلك في الأئمـة، ولا يحضـرون معهم الجمعات والجماعات)[2].

قال ابن تيمية -رحمه الله-:(وهؤلاء أمر النبي -ﷺ- بقتـالهم ؛ لأن معهم دينا فاسداً لا يصلح به دنيا، ولا آخرة)[3].

---

(1)[1] أخرجه أبو داود:(503)ـ برقم:(4596)ـ والترمذي:(428)ـ برقم:(2640)ـ وقال:(حديث حسن صحيح) وابن ماجة:(429)ـ برقم:(3991)ـ والحاكم: المستدرك(1/128) وصـححه على شـرط مسـلم ووافقه الـذهبي، والطـبراني: المعجم الأوسط:(5/137) برقم:(4886)ـ والحديث ضـعيف؛ لأن فيه: عبد الـرحمن بن زيـاد، وهو ضـعيف، كما في: " التقريب ":(1/340)، ولكن للحديث شواهد:

- منها: رواية أنس عند الطـبراني: المعجم الصـغير: بـرقم:(724)، والعقيلي:" الضعفاء": (2/262).

- ومنها: حديث أبي الدرداء، وأبي أمامة، وواثلة بن الأسـقع، وأنس بن مالك كلهم في سند واحد عند الطبراني:" المعجم الكبير " كما في المجمع:(7/259).

وخلاصة القـول: أن الحـديث صـحيح بشـواهده، انظر: الألبـاني: السلسـلة الصـحيحة: برقم:(203، 204).

(2)[2] النووي: روضة الطالبين:(10/51).

(3)[3] الفتاوى:(28/291).

والأحاديث التي جاءت في شأنهم كثيرة، منها:

عن سويد بن غفلة قال: قال علي – رضي الله عنه-: إذا حدَّثتكم عن رسول الله -ﷺ- حديثا فلأن أخرَّ من السماء أحبُّ إليَّ من أن أكذب عليه، وإذا حدثتكم فيما بيني وبينكم فإنما الحرب خدعة، سمعت رسول الله -ﷺ- يقول: " يأتي في آخر الزمان قوم حُدَثَاءُ الأسنَانِ، سُفَهَاءُ الأحْلاَمِ، يقولون من قول خير البريَّة، يمرُقون من الإسلام كما يَمْرُقُ السَّهمُ من الرَّمِيَّةِ، لا يجاوز إيمانهم حَنَاجِرَهُم، فأينما لقيتموهم فاقتُلُوهُم، فإنَّ في قتلهم أجرٌ لمن قتَلهم يوم القيامة "[1].

وقوله -ﷺ-: " يأتي في آخر الزمان ": فيه إخبار عن زمن خروج وظهور الخوارج، وأنه يكون في آخر الزمان، والمراد بآخر الزمان: قيل: المراد زمان الصحابة وفيه نظر؛ لأن آخر زمان الصحابة كان على رأس المائة، وهم قد خرجوا قبل ذلك بأكثر من ستين سنة، ويمكن الجمع بأن المراد بآخر الزمان زمان خلافة النبوة، والخلافة الراشدة، فقد كانت قصة الخوارج، وقتلهم بالنهروان في أواخر خلافة علي سنة:28هـ[2].

قال النووي- رحمه الله-:(قوله -ﷺ-:" أحداث الأسنان، سفهاء الأحلام " معناه صغار الأسنان صغار العقول)[3].

قال النووي- رحمه الله-:(قوله -ﷺ-:" يقولون من خير قول البرية " معناه في ظاهر الأمر كقولهم:(لا حكم إلا لله) ونظائره من دعائهم إلى كتاب الله تعالى)[4].

وقال ابن حجر - رحمه الله-:(ويحتمل أن يكون على ظاهره، والمراد القول الحسن في الظاهر، وباطنه على خلاف ذلك، كقولهم:(لا حكم إلا لله) في جواب علي – رضي الله عنه-)[5].

---

[1] (1) رواه البخاري:(690) برقم:(3611) و(1003) برقم:(5057) ومسلم: (411) برقم:(1066) بزيادة:" يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم ".
[2] (2) انظر: ابن حجر: فتح الباري:(12/287).
[3] (3) شرح صحيح مسلم:(7/169).
[4] (4) المصدر السابق.
[5] (1) فتح الباري:(12/287).

قال النـووي- رحمـه اللـه-:(" يمرقـون من الإسـلام " وفي الرواية الأخـرى:" يمرقــون من الـدين" قــال القاضي: معنـاه: يخرجون منه خروج السـهم إذا نفذ الصـيد من جهة أخـرى، ولم يتعلق به شيء منه. و(الرمية) هي الصيد المرمي، وهي فعيلة بمعنى مفعولة .

قال: و" الدين " هنا: هو الإسلام، كما قال سـبحانه وتعـالى: ﭽ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﭼ ﭽ [آل عمران:19] وقال الخطابي: هو الطاعة أي من طاعة الإمـام على اعتبـار أن هـذه هي صـفة الخـوارج الذين كانوا لا يطيعون الخلفاء والأئمة)[1].

وقال ابن بطال- رحمه الله-:(قوله: " يمرقون من الــدين " فالمروق عند أهل اللغة الخـروج يقـال: مـرق من الـدين مروقاً خرج ببدعة، أو ضلالة، ومـرق السـهم من الغـرض إذا أصـابه ثم نقره، ومنه قيل للمرق مرق لخروجه)[2].

وأشار ابن عبـد الـبر - رحمـه اللـه- إلى سـبب مـروقهم من الدين وهو ما أحدثوه فيه من انحرافات وضلالات فقـد اسـتحلوا بما تأولوا من كتاب الله- عز و جل- دماء المسلمين، وكفــروهم بالـذنوب، وحملـوا عليهم السـيف، وخـالفوا جمـاعتهم، فـأوجبوا الصلاة على الحائض، ولم يروا على الزاني المحصن الرجم ولم يوجبـوا عليه إلا الحد مائة، ولم يطهـرهم عند أنفسـهم إلا المـاء الجاري، أو الكثير المسـتبحر إلى أشـياء يطـول ذكرها، فمرقـوا من الدين بما أحدثوا فيه مروق السهم من الرمية[3].

وليس معنى أنهم يمرقون من الدين أنهم يكفرون.

وعن طارق بن شهاب قال: كنت عند علي، فسـئل عن أهل النهر أهم مشركون؟ قـال: من الشـرك فـروا، قيل: فمنـافقون هم؟ قــال: إن المنــافقين لا يــذكرون الله إلا قليلاً، قيل له: فما هم؟ قال: قوم بغوا علينا[4].

---

[1](2) شرح صحيح مسلم:(4/19).
[2](3) شرح صحيح البخاري:(8/ 585).
[3](4) انظر: الاستذكار:(2/499).
[4](1) مصنف ابن أبي شيبة:(8/743) برقم:(62).

قال النووي- رحمه الله-:(ومذهب الشافعي، وجماهير أصحابه العلماء أن الخوارج لا يكفرون، وكذلك القدرية، وجماهير المعتزلة، وسائر أهل الأهواء)[1].

وقال الخطابي- رحمه الله-:(أجمع علماء المسلمين على أن الخوارج مع ضلالتهم، فرقة من فرق المسلمين، وأجازوا مناكحتهم وأكل ذبائحهم، وأنهم لا يكفرون ما داموا متمسكين بأصل الإسلام)[2].

وقوله-ﷺ-:" لا يجاوز إيمانهم حناجرهم " الحناجر: جمع حنجرة: وهي الحلقوم والبلعوم، وكله يطلق على مجرى النفس، وهو طرف المرئ مما يلي الفم، والمراد أنهم يؤمنون بالنطق لا بالقلب[3].

قال النووي- رحمه الله-:(قوله -ﷺ- " فإذا لقيتموهم، فاقتلوهم، فإن في قتلهم أجراً " هذا تصريح بوجوب قتال الخوارج والبغاة، وهو إجماع العلماء.

قال القاضي: أجمع العلماء على أن الخوارج، وأشباههم من أهل البدع والبغي متى خرجوا على الإمام، وخالفوا رأى الجماعة، وشقوا العصا، وجب قتالهم بعد إنذارهم، والاعتذار إليهم)[4].

قال ابن تيمية- رحمه الله-:(وقد استفاض عن النبي -ﷺ- الأحاديث بقتال الخوارج وهي متواترة عند أهل العلم بالحديث .. وهؤلاء قاتلهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بمن معه من الصحابة، واتفق على قتالهم سلف الأمة وأئمتها، لم يتنازعوا في قتالهم، كما تنازعوا في القتال يوم الجمل وصفين)[5].

وقال ابن هبيرة- رحمه الله-:(وفي الحديث أن قتال الخوارج أولى من قتال المشركين والحكمة فيه: أن في قتالهم

---

[1] (2) شرح مسلم:(7/160).
[2] (3) ابن حجر: فتح الباري:(12/300).
[3] (4) انظر: ابن حجر: فتح الباري:(12/288).
[4] (5) شرح صحيح مسلم:(7/169-170).
[5] (1) الفتاوى:(28/512).

حفظ رأس مال الإسلام، وفي قتـال أهل الشـرك طلب الـربح، وحفظ رأس المال أولى)[1].

وعن زيد بن وهب الجهني أنه كـان في الجيش الـذين كـانوا مع علي -رضي الله عنه- الذين ساروا إلى الخوارج، فقـال علي -رضي الله عنه-: أيها النـــاس، إني ســـمعت رســـول الله -ﷺ- يقول:" يخرج قوم من أمتي، يقرؤون القرآن ليس قراءتكم إلى قرائتهم بشـيء، ولا صـلاتكم إلى صـلاتهم بشـيء، ولا صـيامكم إلى صـيامهم بشـيء، يقـرؤون القـرآن يحسـبون أنه لهم وهو عليهم، لا تجـاوز صـلاتهم تـراقيهم، يمرقـون من الإسـلام كما يمرق السـهم من الرمية " لو يعلم الجيش الذين يصـيبونهم، ما قُضي لهم على لسان نبيهم -ﷺ- لاَتَّكلُـوا عن العمل، وآية ذلك أن فيهم رجلاً له عضد، وليس له ذراع، على رأس عضـــــــده مثل حلمة الثدي، عليه شعرات بيض.

فتذهبون إلى معاوية وأهل الشام، وتتركون هؤلاء يخلفونكم في ذراريكم وأمـــوالكم؟! والله إني لأرجو أن يكونـــوا هـــؤلاء القوم، فإنهم قد سفكوا الدم الحرام، وأغاروا في سرح النـاس، فسيروا على اسم الله.

قال سلمة بن كهيل: فنزَّلني زيد بن وهب منزلاً؛ حتى قـال: مررنا على قنطــرة، فلما التقينا وعلى الخــوارج يومئذ عبد الله بن وهب الراسبي، فقال لهم: ألقوا الرماح، وسلُّوا سيوفكم من جفونها، فإني أخاف أن يناشـدوكم كما ناشـدوكم يـوم حـروراء، فرجعوا فوحَّشوا برماحهم، وسـلوا السـيوف، وشـجرهم النـاس برماحهم، قال وقتل بعضـهم على بعض، وما أصـيب من النـاس يومئذ إلا رجلان، فقــال علي - رضي الله عنه -: التمســوا فيهم المُخْـدَجَ، فالتمسـوه، فلم يجـدوه، فقـام علي -رضي الله عنه- بنفسه؛ حــــتى أتى ناساً قد قتل بعضـــهم على بعض، قـــال: أخروهم، فوجـدوه مما يلي الأرض، فكـبر، ثم قـال: صـدق الله، وبلَّغ رسوله، قال: فقـام إليه عبيـدة السـلماني، فقـال: يا أمـير المؤمـنين، ألله الـذي لا إله إلا هو، لسـمعت هـذا الحـديث من

---

[1] (2) ابن حجر: الفتح:(12/301).

رســـول الله -ﷺ-؟ فقـــال: إي، والله الـــذي لا إله إلا هو؛ حـــتى استحلفه ثلاثاً، وهو يحلف له[1].

قال ابن حجر- رحمه اللـه-:(" لا تجـاوز صـلاتهم تـراقيهم " فكأنه أطلق الإيمـــان على الصـــلاة، وله في حـــديث أبي ذر لا يجــاوز إيمــانهم حلاقيمهم، والمــراد: أنهم يؤمنــون بــالنطق لا بالقلب)[2].

وعن عبيد الله بن أبي رافع مــــــولى رســـــــول الله -ﷺ- أن الحرورية لما خــرجت، وهو مع علي بن أبي طــالب -رضي الله عنه- قـالوا: لا حكم إلا لله. قـال علي: كلمة حق أريد بها باطل، إن رسـول الله -ﷺ- وصف ناساً إني لأعـرف صـفتهم في هـؤلاء: يقولون الحق بألسنتهم لا يجـوز هـذا منهم - وأشـار إلى حلقه - من أبغض خلق الله إليه، منهم أسود إحدى يديه طـبى شـاة، أو حلمة ثدي.

فلما قتلهم علي بن أبي طـــــالب -رضي الله عنه- قـــــال: انظــروا، فنظــروا، فلم يجــدوا شــيئاً فقــال: ارجعــوا فوالله ما كذبت، ولا كذبت مــرتين أو ثلاثاً، ثم وجــدوه في خربة، فــأتوا به حتى وضعوه بين يديه.

قـــال عبيد الله: وأنا حاضر ذلك من أمـــرهم، وَقَـــوْلِ علي فيهم[3].

قال النووي - رحمه الله- في قـول علي:(كلمة حق أريد بها باطل):(معناه أن الكلمة أصلها صدق، قال الله تعالى: ﭽ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚﭼ[الأنعام:57] لكنهم أرادوا بها الإنكار على علي -رضي الله عنه- في تحكيمه)[4].

وعن أبى سعيد الخدري - رضى الله عنه - قــال بعث علي - رضى الله عنه – إلى النـــبي -ﷺ- بذُهَيبَــةٍ، فقســمها بين الأربعة: الأقـــرع بن حـــابس الحنظلي ثم المجاشـــعي، وعيينة بن بـــدر الفــزاري، وزيــد الطــائي، ثم أحد بني نبهــان، وعلقمة بن عُلاثة

---

(1)[1] رواه مسلم: (412) برقم:(1066).
(2)[2] الفتح:(12/288).
(3)[3] رواه مسلم:(412) برقم:(1066).
(1)[4] شرح مسلم:(4/30).

العـامري، ثم أحد بني كلاب، فغضـبت قـريش والأنصـار، قـالوا: يعطي صـناديد أهل نجد ويـدعنا؟ فقـال: " إنما أتـألَّفهم " فأقبل رجل غائر العينين، مشرف الوجنتين، ناتئ الجـبين، كث اللحيـة، محلــوق، فقــال: اتق الله يا محمد، فقــال:" من يطع الله إذا عصـيتُ؟ أيـأمنني الله على أهل الأرض، فلا تـأمنوني؟" فسأله رجل قتله - أحسبه خالد بن الوليد - فمنعـه، فلما ولَّى قـال" إن من ضئضئ هـذا - أو في عقب هـذا - قـوم يقـرؤون القـرآن، لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الـدين مُـروق السـهم من الرَّمِيَّة، يقتلــون أهل الإسـلام، ويـدعون أهل الأوثـان، لئن أنا أدركتهم؛ لأقتلنهم قتل عاد "[1].

قال ابن عبد الـبر–رحمـه اللـه-:(قوله:" يقـرؤون القـرآن لا يجاوز حناجرهم " فمعناه أنهم لم ينتفعوا بقراءته إذ تأولوه على غـير سـبيل السـنة المبينة له، وإنما حملهم على جهل السـنة، ومعاداتها، وتكفـيرهم السـلف ومن سـلك سـبيلهم، وردهم لشهاداتهم ورواياتهم، تأولوا القرآن بآرائهم، فضلوا، وأضلوا فلم ينتفعـوا به ولا حصـلوا من تلاوته إلا على ما يحصل عليه الماضغ الذي يبلع، ولا يجاوز ما في فيه من الطعام حنجرته)[2].

وقـال ابن عبـد الـبر–رحمـه اللـه-:(معـنى قوله:" لا يجـاوز حنـــاجرهم " يقـــول: لا ينتفعـــون بقراءته، كما لا ينتفع الآكل والشارب من المأكلون والمشروب بما لا يجاوز حنجرته.

وقد قيل إن معـنى ذلك: أنهم كـانوا يتلونه بألسـنتهم، ولا تعتقده قلوبهم، وهذا إنما هو في المنافقين)[3].

وقال ابن عبد البر–رحمه الله-:(وفي هذا الحديث نص على أن القــرآن قد يقــرؤه من لا دين له، ولا خــير فيه، ولا يجــاوز لسانه)[4].

---

[1] (2) أخرجه البخاري:(639) برقم:(3344) ومسلم:(409) برقم:(1064).
[2] (3) الاستذكار:(2/499).
[3] (2) التمهيد:(23/223).
[4] (3) الاستذكار:(2/501).

وقال ابن حجر-رحمه الله-:(قوله:" يقتلون أهل الإسلام، ويدعون أهل الأوثان " وهو مما أخبر به صلى الله عليه و سلم من المغيبات فوقع كما قال)[1].

قوله-ﷺ-:" لئن أنا أدركتهم؛ لأقتلنهم قتل عاد " قال ابن حجر-رحمه الله-:(وقد استشكل قوله: " لئن أدركتهم لأقتلنهم " مع أنه نهى خالداً عن قتل أصلهم، وأجيب بأنه أراد إدراك خروجهم، واعتراضهم المسلمين بالسيف، ولم يكن ظهر ذلك في زمانه وأول ما ظهر في زمان علي كما هو مشهور .. واستدل به على تكفير الخوارج وهي مسألة شهيرة في الأصول)[2].

وعن أبى سعيد الخدري - رضي الله عنه- قال بينا النبي -ﷺ- يقسم ذات يوم قسماً، فقال ذو الخويصرة - رجل من بني تميم -: يا رسول الله اعدل، قال:" ويلك، من يعدل إذا لم أعدل؟ " فقال عمر: ائذن لي فلأضرب عنقه، قال " لا، إن له أصحاباً يَحقِرُ أحدكم صلاته مع صلاتهم، وصيامَه مع صيامهم، يمرقون من الدين كمروق السّهم من الرمية، ينظر إلى نصله فلا يوجد فيه شيء، ثم ينظر إلى رِصافِهِ فلا يوجد فيه شيء، ثم ينظر إلى نَضِيِّه فلا يوجد فيه شيء، ثمَّ ينظر إلى قُذَذِهِ فلا يوجدُ فيه شيء، سَبَقَ الفَرْثَ والدَّمَ، يخرجون على حين فُرقة من الناس، آيتهم رجل إحدى يديه مثل ثدي المرأة، أو مثل البَضْعَةِ تَدَرْدَرُ ".

قال أبو سعيد أشهد لسمعته من النبي -ﷺ- وأشهد أني كنت مع عليٍّ حين قاتلهم، فالتمس في القتلى، فأتى به على النعت الذي نعت النبي-ﷺ-[3].

قوله:(ذو الخويصرة): يقال أن ذا الخويصرة اسمه حرقوص وروى عن محمد بن كعب القرظي أنه قال:(حرقوص بن زهير هو ذو الثدية، وهو الذي قال للنبي-ﷺ-: ما عدلت)[4].

---

[1] (4) الفتح:(8/69).
[2] (5) المصدر نفسه:(8/69).
[3] (1) أخرجه البخاري:(1188) برقم:(6163) ومسلم:(410) برقم:(1064).
[4] (2) انظر: ابن عبد البر: التمهيد(23/332).

قولــه-ﷺ-" يخرجــون على حين فرقة من النــاس ": أي في وقت افــتراق النــاس، أي افــتراق يقع بين المســلمين، وهو الافتراق الذي كان بين علي ومعاوية -رضي الله عنهما-[1].

قوله-ﷺ-:" آيتهم رجل إحدى ثدييه مثل ثدي المرأة " قال ابن حجـر:(اسم هـذا المـذكور المقتـول في وقعة النهر نـافع كما تقدم، وقاتله اسمه الأشهب البجلي)[2].

قال ابن حجر–رحمـه اللـه-:(قـال القرطـبي: إنما منع قتله، وأن كان قد استوجب القتل لئلا يتحدث الناس أنه يقتل أصحابه، ولا سيما من صلى كما تقدم نظيره في قصة عبد الله بن أبي.

وقــال المــازري: يحتمل أن يكــون النــبي -ﷺ- لم يفهم من الرجل الطعن في النبــوة، وإنما نســبه إلى تــرك العــدل في القسـمة، وليس ذلك كبـيرة، والأنبيـاء معصـومون من الكبـائر بالإجمـاع واختلف في جـواز وقـوع الصـغائر، أو لعله لم يعـاقب هـــذا الرجل لأنه لم يثبت ذلك عنه بل نقله عنه واحد وخـــبر الواحد لا يراق به الدم انتهى.

وأبطله عياض بقوله في الحديث:(اعدل يا محمد) فخاطبه في الملأ بذلك؛ حتى استأذنوه في قتله فالصواب ما تقدم)[3].

قـال النـووي–رحمـه اللـه-:(وفي هـذا الحـديث معجـزات ظاهرة لرسول الله -ﷺ- فإنه أخبر بهذا وجرى كله كفلق الصـبح، ويتضمن بقاء الأمة بعده -ﷺ- وأن لهم شوكة وقوة خلاف ما كـان المبطلـون يشـيعونه، وأنهم يفـترقون فرقـتين، وأنه يخـرج عليه طائفة مارقـــة، وأنهم يشـــددون في الـــدين في غـــير موضع التشـديد، ويبـالغون في الصـلاة والقـراءة، ولا يقيمـون بحقـوق الإسـلام، بل يمرقـون منـه، وأنهم يقـاتلون أهل الحق، وأن أهل الحق يقتلونهم، وأن فيهم رجلاً صفة يده كذا وكذا، فهـذه أنـواع من المعجزات جرت كلها ولله الحمد)[4].

---

[1] (3) انظر: النووي: شرح مسلم:(4/23).
[2] (4) الفتح(1/340).
[3] (1) الفتح:(8/69).
[4] (2) شرح مسلم:(4/23).

وعن أبى سعيد الخدري - رضى الله عنه - أنه قال سمعت رسول الله -ﷺ- يقول: " يخرج فيكم قوم، تَحْقِرُونَ صلاتكم مع صلاتهم، وصيامكم مع صيامهم، وعَمَلَكُمْ مع عملهم، ويقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرَّمِيَّةِ، ينظر في النَّصْلِ فلا يرى شيئاً، وينظر في القدح فلا يرى شيئاً، وينظر في الرِّيشِ فلا يرى شيئاً، ويَتَمَارَى في الْفُوقِ "[1].

قال ابن عبد البر-رحمه الله-:(وقوله: " يتمارى في الفوق " أي يشك إن كان أصاب الدم الفوق أم لا؟ و " الفوق " هو الشيء الذي يدخل فيه الوتر.

قال يقول: فكما يخرج السهم نقياً من الدم لم يتعلق به منه شيء، فكذلك يخرج هؤلاء من الدين يعني الخوارج)[2].

وعن أبي سلمة وعطاء بن يسار أنهما أتيا أبا سعيد الخدري - رضي الله عنه- فسألاه عن الْحَرُورِيَّةِ، أسمعت النبي-ﷺ-؟ فقال: لا أدري ما الحرورية؟ سمعت النبي -ﷺ- يقول:" يخرج في هذه الأمة - ولم يقل: منها - قوم تحقرون صلاتكم مع صلاتهم، يقرؤون القرآن لا يجاوز حلوقهم، أو حناجرهم، يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية، فينظر الرَّامِي إلى سهمه، إلى نَصْلِهِ، إلى رِصَافِهِ، فَيَتَمَارَى في الْفُوقَةِ هل عَلِقَ بها من الدَّمِ شيء "[3].

قال النووي-رحمه الله-:(قوله: (فسألاه عن الحرورية) هم الخوارج سموا: حرورية؛ لأنهم نزلوا حروراء، وتعاقدوا عندها على قتال أهل العدل (وحروراء) بفتح الحاء وبالمد قرية بالعراق قريبة من الكوفة.

وسموا: خوارج؛ لخروجهم على الجماعة، وقيل: لخروجهم عن طريق الجماعة، وقيل: لقوله-ﷺ-: " يخرج من ضئضئ هذا ")[4].

---

[1] (1) أخرجه البخاري:(1003) برقم:(5058).
[2] (2) الاستذكار:(2/500).
[3] (3) أخرجه البخاري:(1322) برقم:(6931) مسلم:(410) برقم:(1064).
[4] (4) شرح مسلم:(4/22).

وعن أبى ســـعيد الخـــدري - رضى الله عنه - عن النبي -- قال:" يخرج ناس من قبل المشرق، ويقرءون القـرآن لا يُجَـاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، يمرقون من الدين كما يمرق السـهم من الرَّمِيَّةِ، ثم لا يعودون فيه؛ حتى يعـود السـهم إلى فُوقِـهِ " قيل: ما سـيماهم؟ قال:" سِيمَاهُمُ التَّحْلِيقُ "أو قال: " التَّسْبِيدُ "[1].

قوله:" يخرج ناس من قبل المشرق " (هم الخـوارج وكـان ابتداء خروجهم في العراق، وهي من جهة المشرق بالنسبة إلى مكة المشرفة)[2].

"سِيمَاهُمُ التَّحْلِيقُ "المراد أن علامتهم حلق الرؤوس[3].

قـال النـووي-رحمـه اللـه-:(واسـتدل به بعض النـاس على كراهة حلق الرأس، ولا دلالة فيـه، وإنما هو علامة لهم، والعلامة قد تكون بحرام، وقد تكون بمباح)[4].

وعن أبى سعيد الخدري - رضي الله عنـه- أن النـبي -- ذكر قوماً يكونـون في أمته يخرجـون في فُرقة من النـاس سِـيمَاهُمُ التَّحَالُقُ قال:" هم شرُّ الخلق - أو من أشرِّ الخلق - يقتلهم أدنى الطـائفتين إلى الحق " قـال فضـرب النـبي-- لهم مثلاً، أو قـال قولاً:" الرجل يرمى الرمية - أو قال الغرض - فينظر في النصل فلا يرى بصيرة، وينظر في النضـيِّ فلا يـرى بصـيرة، وينظر في الفوق فلا يرى بصيرة "

قال: قال أبو سعيد: وأنتم قتلتموهم يا أهل العراق[5].

قال النووي -رحمـه اللـه-:(قوله --:" هم شر الخلق أو من أشر الخلق " هكـذا هو في كل النسخ أو من أشر بـالألف، وهي لغة قليلة والمشـهور شر بغـير ألف، وفي هـذا اللفظ دلالة لمن قال بتكفيرهم، وتأوله الجمهور: أي شر المسلمين)[6].

---

[1] (1) أخرجه البخاري:(1444) برقم:(7562).
[2] (2) ابن حجر: فتح الباري:(13/536).
[3] (3) انظر: النووي: شرح مسلم:(4/24).
[4] (4) شرح مسلم:(4/24).
[5] (5) رواه مسلم:(410) برقم:(1064).
[6] (6) شرح مسلم:(7/167) وانظر: ابن حجر: الفتح:(12/286).

المبحث الثاني

التحذير من أعمال أهل الضلال

جاءت السنة بالتحذير من أعمال الضلال واتجاهاتهم في الانحراف، ودعت إلى النأي بالنفس وبالناس عن تلك الأعمال، ومن أظهرها:(الغلو).

و(الغلو: مجاوزة الحد، بأن يزاد في الشيء، في حمده أو ذمه على ما يستحق ونحو ذلك)[1] وبنحو هذا التعريف عرَّفه الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب -رحمهم الله - [2].

وعرفه الحافظ ابن حجر -رحمه الله - بأنه:(المبالغة في الشيء والتشديد فيه بتجاوز الحد)[3].

وهذه التعاريف متقاربة وتفيد أن الغلو هو: تجاوز الحد الشرعي بالزيادة،و (الحدود هي: النهايات لما يجوز من المباح المأمور به، وغير المأمور به)[4].

ويزيد الشيخ سليمان بن عبد الله - رحمه الله - الأمر وضوحاً فيحدد ضابط الغلو فيقول:(وضابطه تعدى ما أمر الله به، وهو الطغيان الذي نهى الله عنه في قوله ﭽ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﭼ [طه: 81])[5].

□ □ □

ولقد حذر النبي -ﷺ- من الغلو، وجمع -ﷺ- بين النهي عن الغلو بعامة، وبين بيان عاقبة الغلو، فعن ابن عباس - رضي الله عنهما- قال: قال لي رسول الله -ﷺ- غداة جمع: " هلم القط لي

---

[1] (1) ابن تيمية: اقتضاء الصراط المستقيم: (1/289).
[2] (2) تيسير العزيز الحميد: (256).
[3] (3) فتح الباري: (13/278) .
[4] (4) ابن تيمية: الفتاوى: (3/362).
[5] (5) تيسير العزيز الحميد: (256).

الحصى " فلقطت له حصيات من حصى الخـذف، فلما وضعهن في يده قال: " نعم بأمثال هؤلاء، وإياكم والغلو في الدين، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين "[1].

والنهي هنا وإن كان خاصاً، فهو نهي عام لكل غلو.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-:(هذا عام في جميع أنواع الغلو في الاعتقادات والأعمال، وسبب هذا اللفظ العام رمي الجمار، وهو داخل فيه مثل الرمي بالحجارة الكبار بناء على أنه أبلغ من الصغار، ثم علله بما يقتضي مجانبة هديهم، أي: هدي من كان قبلنا؛ إبعاداً عن الوقوع فيما هلكوا به، وأن المشارك لهم في بعض هديهم يخاف عليه من الهلاك)[2].

وجاء التحذير من الغلو بنوعيه:

- الغلو الكلي الاعتقادي.
- والغلو الجزئي العملي[3].

فأما الغلو الكلي الاعتقادي:

فجاء التحذير منه؛ لما وقعت بذرته في زمن النبي - ﷺ - وكان وقوعه نتاج عوجٍ نفسية الغالي، وقد قال النبي - ﷺ - فيمن غلا غلواً اعتقادياً في زمنه، فطعن في مقام النبوة محذراً منه، ومن أضرابه: " إنّ من ضِئْضِىءِ هذا قوماً يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجِرهم، يقتلون أهل الإسلام، ويدعون أهل الأوثان"[4].

وأما الغلو الجزئي العملي: وقد وقع هذا النوع في عهد النبي -ﷺ- بالحذير منه، وعلاج من وقع فيه، ففي الحديث عن أنس بن مالك - ﷺ - قال: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت النبي -ﷺ-

---

[1] (1) أخرجه النسائي:(323) برقم:(3057)، وابن ماجه:(328) برقم:(3029) وصححه ابن تيمية: اقتضاء الصراط المستقيم:(1/289)، والنووي: المجموع:(8/138).

[2] (2) نقلاً عن سليمان بن عبد الله: تيسير العزيز الحميد:(275) ولم أجده في كتابات شيخ الإسلام التي بين يدي، إلا نحوه في الاقتضاء المستقيم:(1/289).

[3] (3) انظر: ابن تيمية: اقتضاء الصراط المستقيم:(1/289).

[4] (1) سبق تخريجه:(10).

يسألون عن عبادته، فلما أخبروا كأنهم تقالوها، فقالوا: أين نحن من النـبي -- وقد غُفِـرَ له ما تقـدم من ذنبه وما تـأخر، فقـال أحدهم: أما أنا فأصلي الليل أبداً. وقال آخر: أنا أصوم الـدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً، فجاء رسـول اللّه -- فقـال: " إني لأخشـاكم لله وأتقـاكم لـه، لكـني أصـوم وأفطر، وأصـلي وأرقـد، وأتـزوج النسـاء؛ فمن رغب عن سـنتي فليس مني!"[1].

فأنكر النبي -- فعلهم هذا وجعله خروجاً عن منهجـه، وتـبرأ منه.

وعن أنس بن مالك -رضي الله عنه- قـال: دخل النـبي -- فإذا حبل ممدود بين الساريتين فقال: " ما هـذا الحبل؟" قـالوا: هذا حبل لزينب، فإذا فترت تعلّقت، فقال النبي --:" لا، حلـوه، ليصل أحدكم نشاطه، فإذا فتر فليقعد "[2].

وعن ابن عبـاس-رضي الله عنهمـا- قـال: بينا النـبي -- يخطب إذا هو برجل قائم فسأل عنه، فقالوا: أبو إسـرائيل، نـذر أن يقوم ولا يقعد، ولا يستظل، ولا يتكلم، ويصوم، فقال النـبي --:" مره فليتكلم وليستظل، وليقعد، وليتم صومه "[3].

قـال ابن حجـر-رحمـه اللـه-:(وفيه أن كل شـيء يتـأذى به الإنسان،ولو مآلاً مما لم يرد بمشروعيته كتاب أو سنة، كالمشي حافياً، والجلوس في الشمس ليس هو من طاعة الله، فلا ينعقد به النذر)[4].

وعن عائشة-رضي الله عنهـا- أن النـبي -- دخل عليها، وعندها امرأة، قال:" من هذه؟ " قالت: فلانة تـذكر من صـلاتها قال: " مه عليكم بما تطيقون، فوالله لا يمل الله حـتى تملـوا " وكان أحب الدين إليه ما داوم عليه صاحبه[5].

---

[1] (2) رواه البخاري:(1005) برقم:(5063) ومسلم:(549) برقم:(1401).
[2] (3) رواه البخاري:(227) برقم:(1150) ومسلم:(308) برقم:(784).
[3] (4) رواه البخاري:(1279) برقم:(6074).
[4] (1) فتح الباري:(11/590).
[5] (2) رواه البخاري:(31) برقم:(43)ومسلم:(308) برقم:(785).

قال ابن حجر-رحمه اللـه-:(قوله: " عليكم بما تطيقـون " أي: اشـــتغلوا من الأعمـــال بما تســـتطيعون المداومة عليه، فمنطوقه يقتضـي الأمر بالاقتصـار على ما يطـاق من العبـادة، ومفهومه يقتضى النهي عن تكلف ما لا يطاق)[1].

واتخذ ذلك التحذير صوراً منها:

1-التحذير من الغلو بيان مصير الغالي وعاقبته:

فقد وردت أحاديث تبين مآل من غلا، وأنه صائر إلى الهلاك، بل يرد ذلك مكرراً ثلاث مرات في حديث واحد؛ مما يفيد عظيم الأمر وخطره، فعن عن عبد الله بن مسعود - رضـي اللـه عنـه- قال: قال رسول الله --:" هلك المتنطعون " قالها ثلاثاً [2].

أي هلـك المتعمقـون المتشـددون في غـير موضع التشـديد، المجاوزون الحدود في أقوالهم، وأفعالهم[3].

---

[1] (3) فتح الباري:(1/102).

[2] (4) رواه مسلم:(1071) برقم:(2670).

[3] (1) انظر: النووي: شرح صحيح مسلم:(16/220) وابن تيمية: الفتاوى:(22/224).

2- التحـذير من الغلو في النهي عن التشـديد على النفس:

لقد وضع الشـارع الشـريعة في الأصل على مقتضى قـدرة الإنسان ووسعه، وجعل للمشقات العارضة رخصاً تخففها رحمة بعبـاده وتيسـيراً عليهم، كما نهى أن يغلو الإنسـان فيشـدد على نفسه.

فقال -عز وجل-: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪﭼ [المائدة:77].

وقال -ﷺ-:" إياكم والغلو في الدين "[1].

كما حذر رسول الله -ﷺ- من مشابهة أهل الكتاب، فقد سـأل رجل النبي -ﷺ-فقال: إن من الطعام طعاماً أتحرج منه؟ فقال: " لا يتخَلَّجنَّ في نفسك شيءٌ، ضارعت فيه النصرانية "[2].

قال العظيم آبـادي -رحمه اللـه-:(لا يـدخل في قلبك ضـيق وحرج؛ لأنك على الحنيفية السهلة، فـإذا شـككت وشـددت على نفسك بمثل هذا شابهت فيه الرهبانية)[3].

كما نهى النــــبي -ﷺ- عن التشـــــديد على النفس، وبين أن التشديد على النفس سبب لوقوع التشديد من الله تعالى.

فقـــال -ﷺ- فيما رواه أنس بن مالك -رضي الله عنـــه-:" لا تشـددوا على أنفسـكم فيشـدَّد عليكم، فـإن قومـاً شـدَّدوا على أنفسهم فشدَّد الله عليهم، فتلك بقاياهم في الصوامع والديار ﭽ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗﭼ [الحديد:27]"[4].

وهذا التشديد على النفس الذي هو ضرب من ضروب الغلو، بينت السنة أن عاقبة صـاحبه إلى الانقطـاع، وأنه ما من مشـادٍ لهذا الدين إلا ويغلب وينقطع.

---

[1] (2) سبق تخريجه:(17).

[2] (3) أخرجه أبو داود:(417)ـ برقم:(3784)ـ وأحمد (36/ـ 297)ـ بـرقم:(21965) وقال شعيب الأرنؤوط:(إسناده ضعيف).

[3] (4) عون المعبود:(3 /412).

[4] (1) أخرجه أبو داود:(532)ـ برقم(4904)، وأبو يعلى:(6/ـ 365)ـ برقم(3649)قال الهيثمي: (رواه أبو يعلى ورجاله رجـال الصـحيح غـير سـعيد بن عبد الـرحمن بن أبي العمياء وهو ثقة) مجمع الزوائد (6 / 256).

فعن أبي هريرة - رضي الله عنه- عن النبي -ﷺ- قال:" إن الدين يسر، ولن يشادَّ الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا، وأبشروا، واستعينوا بالغدوة والروحة، وشيء من الدُّلجة "[1] وفي لفظ:" والقصد القصد تبلغوا "[2].

قال ابن المنير-رحمه الله-:(في هذا الحديث علم من أعلام النبوة، فقد رأينا ورأى الناس قبلنا أن كل متنطع في الدين ينقطع، وليس المراد منع طلب الأكمل في العبادة، فإنه من الأمور المحمودة، بل منع الإفراط المؤدي إلى الملال، أو المبالغة في التطوع المفضي إلى ترك الأفضل، أو إخراج الفرض عن وقته)[3].

قال ابن تيمية -رحمه الله-:(فمتى كانت العبادة توجب له ضررا يمنعه عن فعل واجب أنفع له منها كانت محرمة مثل: أن يصوم صوما يضعفه عن الكسب الواجب أو يمنعه عن العقل، أو الفهم الواجب، أو يمنعه عن الجهاد الواجب، وكذلك إذا كانت توقعه في محل محرم لا يقاوم مفسدته مصلحتها مثل أن يخرج ماله كله ثم يستشرف إلى أموال الناس ويسألهم .

وأما إن أضعفته عما هو أصلح منها وأوقعته في مكروهات، فإنها مكروهة)[4].

والأحاديث الناهية عن التشديد على النفس، والتي فيها معالجة لما وقع منه عهد الرسول -ﷺ- كثيرة، وهذه النصوص يمكن أن يتبين منها المعيار الذي يحكم من خلاله على العمل بأنه تشديد على النفس وهذا ما سأبينه فيما يلي:

عن التشديد على النفس هو كل عمل أدى إلى مشقة وعنت بالإنسان (والتشديد تارة يكون باتخاذ ما ليس بواجب ولا مستحب بمنزلة الواجب أو المستحب في العبادات، وتارة

---

[1] (2) رواه البخاري:(31) برقم:(39).
[2] (3) رواه البخاري:(1240) برقم:(6463) ومسلم:(1133) برقم:(2816).
[3] (4) ابن حجر: فتح الباري:(1/94).
[4] (1) الفتاوى:(273-25/272).

باتخاذ ما ليس بحـرام ولا مكـروه بمنزلة المحـرم المكـروه في الطيبات)[5].

[5](2) ابن تيمية: اقتضاء الصراط المستقيم (1/ 283).

3- التحـذير من الغلو في النهي عن التشـديد على الناس:

لقد بني هذا الدين على اليسر ورفع الحـرج. وأدلة ذلك غـير منحصرة، فاستقراء أدلة الشريعة قاض بأن الله جعل هذا الدين رحمةً للناس، ويسراً، والرسـول -ﷺ- أصـلُ بعثته الرأفة والرحمة بالناس، ورفع الإصر والأغلال التي كانت واقعة بطائفة منهم.

يقول تعالى: ﭽ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﭼ[التوبة: 128].

ويقول سبحانه: ﭽ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﭼ [الأنبياء:107].

ويقول - عليه الصـلاة والسـلام-:" إن الله لم يبعثـني معنِّتـاً، ولا متعنتاً، ولكن بعثني معلِّماً ميسراً "[1].

ومن أبرز أوصافه -عليه الصلاة والسلام- أنه ﭽ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﭼ [الأعراف: 157].

ولـذلك كـان -ﷺ- يـترك بعض الأفعـال أو الأوامـر، خشـية أن يشق على أمتــه، ففي قصة صــلاة الــتراويح لما صــلى - عليه الصلاة والسلام- فصلى بصلاته ناس، ثم صلى من القابلة فكــثر الناس، ثم اجتمعوا من الليلة الثالثة أو الرابعة، فلم يخرج إليهم، فلما أصبح قال:" قد رأيت الذي صنعتم فلم يمنعني من الخروج إليكم إلا أني خشيت أن تفرض عليكم "[2]

وفي رواية: " فتعجزوا عنها"[3].

وفي الحــديث عن أبي هريــرة -رضي الله عنــه- أن رســول الله -ﷺ- قال:" لولا أن أشق على أمتي، أو على الناس؛ لأمـرتهم بالسواك مع كل صلاة "[4].

---

[1] (1) أخرجه مسلم:(592) برقم:(1478).
[2] (2) أخرجه البخاري:(223) برقم:(1129) ومسلم:(299) برقم:(760).
[3] (3) أخرجه البخاري:(380) برقم:(2012) ومسلم:(300) برقم:(760).
[4] (4) أخرجه البخاري:(178) برقم:(887) ومسلم:(127) برقم:(252).

وكان النبي -ﷺ- يأمر أصحابه بالتيسير على الناس، فقد قال لمعاذ بن جبل وأبي موسى الأشعري لما بعثهما إلى اليمن: " يسرا ولا تعسرا، وبشرا ولا تنفرا، وتطاوعا ولا تختلفا "[1].

والإنسان له في ذاته أن يأخذ نفسه بالأشد من المشروع، كأن يصلي صلاة طويلة، ولكن ليس له أن يلزم الناس بهذا، ولهذا كان الرسول -ﷺ- أطول الناس صلاة إذا صلى لنفسه، ولكنه يخفف في صلاته إذا صلى بالناس مراعاة لأحوالهم.

يقول أنس بن مالك -رضي الله عنه- في وصف صلاته -عليه الصلاة والسلام-:(كان -ﷺ- من أخفّ الناس صلاةً في تمام)[2].

وكان -ﷺ- يأمر أصحابه بالتخفيف، فقد صلى معاذ بن جبل -رضي الله عنه- ليلة بقومه فافتتح البقرة، فانحرف رجلٌ فسلم، ثم صلى وحده وانصرف، فقالوا له: أنافقت يا فلان؟ فقال: لا والله، ولآتين رسول الله فلأخبرنه، فأتى رسول الله -ﷺ- فقال: يا رسول الله إنا أصحاب نواضح نعمل بالنهار، وإن معاذاً صلى معك العشاء، ثم أتى فافتتح بسورة البقرة، فأقبل رسول الله -ﷺ- على معاذ فقال: " يا معاذ أفتان أنت، أقرأ بكذا وأقرأ بكذا " وفي رواية أنه قال " أقر والشمس وضحاها، والضحى والليل إذا يغشى، وسبح اسم ربك الأعلى "[3].

وقوله -ﷺ-:" أفتان أنت يا معاذ " أي: منفرٌ عن الدين وصاد عنه[4].

وعن أبي مسعود الأنصاري - رضي الله عنه- قال: قال رجل: يا رسول الله إني لأتأخر عن الصلاة في الفجر مما يطيل بنا فلانٌ فيها، فغضب رسول الله -ﷺ- ما رأيته غضب في موضع كان أشدّ غضباً منه يومئذ ثم قال: " يا أيها الناس، إنّ منكم

---

[1] (5) أخرجه البخاري:(581) برقم:(3038) ومسلم:(721) برقم:(1733).
[2] (1) أخرجه البخاري:(149) برقم:(708) ومسلم:(196) برقم:(469).
[3] (2) أخرجه البخاري:(1178) برقم:(6106) ومسلم:(194) برقم:(465).
[4] (3) انظر: النووي: شرح صحيح مسلم:(4/182).

منفرين، فمن أمَّ الناس فيلتجوز، فإن خلفه الضـعيف، والكبـير، وذا الحاجة "[1].

وقد صـرح -عليه الصـلاة والسـلام-بـالأمر بـالتخفيف عن النـــاس، وإطلاق حرية المـــرء في الأخذ بالأشد لنفسه ما لم يتجـاوز الحـدود الشـرعية، فقـال -عليه الصـلاة والسـلام-: " إذا صـلى أحـدكم للنـاس فليخفـف، فـإنّ منهم الضـعيف والسـقيم والكبير، وإذا صلى أحدكم لنفسه فليطول ما شاء "[2].

والتشديد على الناس لا يدخل فيه إلزامهم بما شرع الله عز وجل، بل هو إلزام الناس بغير ما شرع الله، وهو قسمان:

1 – ما لم يُشرع أصلاً:

2 - ما شرع أصله ولكن الغلو واقع في صفته أو قدره.

[1] (4) أخرجه البخاري:(149) برقم:(704) ومسلم:(195) برقم:(466).
[2] (1) أخرجه البخاري:(149) برقم:(703) ومسلم:(195) برقم:(467).

المبحث الثالث

ذكر أخبار الأمم لأخذ العبرة من أسباب ضلالهم

وأكـثـر ما ورد في قصص بـني إسـرائيل فـإن الله - عز وجل - قصَّ علينا أخبارهم في سور كثيرة من القرآن، وفي ضـمن ذلك التحذير من أعمالهم، وأوصافهم.

ويعد اسـتخدام (إنما أهلك من كـان قبلكم) أحد الأسـاليب التي اعتمدتها السنة في التبليغ والبيان، والوعظ والإرشاد.

فمن ذلك:

عن أبي هريـرة - رضـي اللـه عنـه- عن النـبي -ﷺ- قـال:" دعــوني ما تــركتكم، إنما هلك من كــان قبلكم، بســؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فـإذا نهيتكم عن شـيء، فـاجتنبوه، وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم "[1].

قال ابن رجب – رحمه اللــه-:(فمن امتثل ما أمر به النَّبيُّ -ﷺ- في هذا الحديث، وانتهى عما نهى عنه، وكـان مشـتغلاً بـذلك عن غيره، حَصَلَ له النجاةُ في الدنيا والآخرة، ومَنْ خالف ذلـك، واشتغلَ بخـواطرهِ وما يستحسـنه، وقع فيما حـذَّرَ منه النَّبيُّ -ﷺ- من حال أهل الكتـاب الـذين هلكـوا بكـثرة مسـائلهم واختلافهم على أنبيائهم، وعدمِ انقيادهم وطاعتهم لرسلهم)[2].

وعن عبد الله بن مسعود - رضـي اللـه عنـه- قـال: أقـرأني رســول الله -ﷺ- ســورة من الثلاثين من آل حم قــال: يعــني الأحقـاف، قـال: وكـانت السـورة إذا كـانت أكـثر من ثلاثين آية سـميت الثلاثين، قـال: فـرحت إلى المسـجد، فـإذا رجل يقرؤها على غـير ما أقـرأني فقلت: من أقـرأك؟ فقـال رسـول الله -ﷺ- قــال: فقلت لآخر: اقرأها، فقرأها على غــير قــراءتي، وقــراءة صاحبي، فانطلقت بهما إلى النـبي -ﷺ- فقلت: يا رسـول الله إن هذين يخالفاني في القراءة، قال: فغضب وتمعر وجهه، وقـال:" إنما أهلك من كان قبلكم الاختلاف "[3].

---

[1] (1) أخرجه البخاري:(1389) برقم:(7288) ومسلم:(529) برقم:(1337).

[2] (2) جامع العلوم والحكم:(1/252).

وعن عائشة – رضي الله عنها- أن أسامة كلم النبي -ﷺ- في امرأة فقال:" إنما هلك من كان قبلكم أنهم كانوا يقيمون الحد على الوضيع، ويتركون على الشريف، والذي نفسي بيده لو فاطمة فعلت ذلك؛ لقطعت يدها "[(1)].

قال ابن بطال –رحمه الله-:(وفيه: أن إنفاذ الحكم على الضعيف ومحاشاة الشريف مما أهلك الله به الأمم، ألا ترى أنه -ﷺ- وصف أن بنى إسرائيل هلكوا بإقامة الحد على الوضيع وتركهم الشريف)[(2)].

وعن عقبة بن عامر - رضي الله عنه- قال: قال رسول الله-ﷺ-: " ولكني أخشى عليكم الدنيا أن تنافسوا فيها، وتقتتلوا، فتهلكوا، كما هلك من كان قبلكم "[(3)].

وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: سمع النبي -ﷺ- قوماً يتدارؤون - أي: يختلفون- فقال:" إنما هلك من كان قبلكم بهذا، ضربوا كتاب الله بعضه ببعض، وإنما نزل كتاب الله يصدق بعضه بعضاً، فلا تكذبوا بعضه ببعض، فما علمتم منه فقولوا، وما جهلتم فكلوه إلى عالمه "[(4)].

وعن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما- قال: هجرت إلى رسول الله -ﷺ- يوماً، قال: فسمع أصوات رجلين اختلفا في آية، فخرج علينا رسول الله -ﷺ- يعرف في وجهه الغضب، فقال:" إنما هلك من كان قبلكم باختلافهم في الكتاب "[(5)].

(1)[3] أخرجه أحمد:(7/ 88) برقم:(3981) قال شعيب الأرنؤوط:(إسناده حسن) وابن حبان:(3/ 22) برقم:(747) والحاكم: المستدرك:(2/ 243) برقم:(2885) وقال الذهبي في تعليقه:(صحيح).
(2)[1] أخرجه البخاري:(1295) برقم:(6786) ومسلم:(700) برقم:(1688).
(3)[2] شرح صحيح البخاري:(8/407).
(4)[3] أخرجه مسلم:(941) برقم:(2296).
(1)[4] أخرجه أحمد:(11/353) برقم:(6741) وقال شعيب الأرنؤوط:(صحيح وهذا إسناد حسن) والبيهقي: شعب الإيمان:(2/ 417) برقم:(2258) والطبراني: الأوسط:(3/ 227) برقم:(2995).
(2)[5] أخرجه مسلم:(1070) برقم:(2666).

قال النووي -رحمه الله-:(المراد بهلاك من قبلنا هنا: هلاكهم في الدين بكفرهم، وابتداعهم، فحذر رسول الله -ﷺ- من مثل فعلهم)[1].

وقال المناوي– رحمه الله-.:(يعني أن الأمم السابقة اختلفوا في الكتب المنزلة فكفر بعضهم بكتاب بعض، فهلكوا، فلا تختلفوا أنتم في هذا الكتاب.

والمراد بالاختلاف: ما أوقع في شك، أو شبهة، أو فتنة، أو شحناء ونحو ذلك الاختلاف في وجوه المعاني، واستنباط الأحكام، والمناظرة لإظهار الحق، فإنه مأمور به فضلاً عن كونه منهيا عنه)[2].

وعن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما- قال: خطب رسول الله -ﷺ- فقال:" إياكم والشح، فإنما هلك من كان قبلكم بالشح، أمرهم بالبخل، فبخلوا، وأمرهم بالقطيعة، فقطعوا، وأمرهم بالفجور، ففجروا "[3].

قال النووي – رحمه الله-:(قال القاضي: يحتمل أن هذا الهلاك هو الهلاك الذي أخبر عنهم به في الدنيا، بأنهم سفكوا دماءهم، ويحتمل أنه هلاك الآخرة.

وهذا الثاني أظهر، ويحتمل أنه أهلكهم في الدنيا والآخرة.

قال جماعة: الشح أشد البخل، وأبلغ في المنع من البخل، وقيل هو البخل مع الحرص، وقيل البخل في أفراد الأمور والشح عام، وقيل البخل في أفراد الأمور، والشح بالمال والمعروف، وقيل الشح الحرص على ما ليس عنده، والبخل بما عنده)[4].

وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: خرج علينا رسول الله -ﷺ- ونحن نتنازع في القدر، فغضب؛ حتى أحمر وجهه؛ حتى

---

[1] (3) شرح صحيح مسلم:(16/218).
[2] (4) فيض القدير:(3/4).
[3] (5) أخرجه أبو داود:(199) برقم:(1698) والبيهقي: السنن الكبرى:(4/ 187) برقم:(7607) وأحمد:(11/ 398) برقم:(6792) وقال شعيب الأرنؤوط:(صحيح رجاله ثقات رجال الصحيح غير المسعودي).
[4] (1) شرح صحيح مسلم:(16/ 134).

كأنما فقئ في وجنتيه الرمـان، فقـال:" أبهـذا أمـرتم؟ أم بهـذا أرسلت إليكم؟ إنما هلك من كـان قبلكم؛ حين تنـازعوا في هـذا الأمر عزمت عليكم ألا تتنازعوا فيه "[1].

قال المناوي -رحمه الله-:(أشار إلى أن من تكلم من الأمم الماضية فيه - أي: القدر- عجل الله إهلاكهم)[2].

وقال المبـاركفوري-رحمـه اللـه-:(هـذا يـدل على أن غضب الله وإهلاكهم كان من غير إمهال ففيه زيادة وعيد)[3].

وعن ابن عباس - رضي اللـه عنهمـا- قـال: قـال لي رسـول الله -ﷺ- غـــــداة جمع: " هلم القط لي الحصى " فلقطت له حصـيات من حصى الخـذف، فلما وضـعهن في يـده قـال:" نعم بأمثـال هـؤلاء، وإيـاكم والغلو في الـدين، فإنما أهلك من كـان قبلكم الغلو في الدين "[4].

وعن سهل بن حـنيف -رضـي اللـه عنـه- أن رسـول الله -ﷺ- قـال:" لا تشـددوا على أنفسـكم، فإنما أهلك من كـان قبلكم، بتشـديدهم على أنفسـهم، وسـتجدون بقايـاهم في الصـوامع و الديارات "[5].

وعن أبي سـعيد الخـدري -رضـي اللـه عنـه- عن النـبي -ﷺ- قال:" لتتبعن سَنَنَ من كـان قبلكم، شـبراً شـبر، وذراعاً بـذراع؛ حتى لو دخلوا جحر ضَبٍّ تبعتموهم " قلنا: يا رسـول الله اليهـود والنصارى؟ قال:" فمن "[6].

وعن جندب -رضي الله عنه- قال: سمعت النـبي -ﷺ- قبل أن يموت بخمسٍ، وهو يقول:" إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليلٌ، فإن الله تعالى قد اتخـذني خليلاً كما اتخذ إبـراهيم خليلاً، ولو كنت متخذ من أمتي خليلاً لاتخـذت أبا بكر خليلاً، ألا وإن من

---

[1] (2) أخرجه الترمذي:(355) برقم:(2133).
[2] (3) فيض القدير:(1/ 347).
[3] (4) تحفة الأحوذي:(6/ 280).
[4] (1) سبق تخريجه:(17).
[5] (2) أخرجه البيهقي: شعب الإيمان:(3/ 401) برقم:(3884).
[6] (3) أخرجه البخاري:(1396) برقم:(7320) ومسلم: (1070) برقم:(2669).

كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، إني أنهاكم عن ذلك "[1].

وعن عائشة وعبد الله بن عباس – رضي الله عنهم- قالا: لما نزل برسول الله -ﷺ- طفق يطرح خميصة له على وجهه، فإذا اغتم بها كشفها عن وجهه، فقال وهو كذلك:" لعنة الله على اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد " يحذر ما صنعوا [2].

عن أبي بصرة الغفاري-رضي الله عنه- قال: صلى بنا رسول الله -ﷺ- العصر بالمخمَّص، فقال:" إن هذه الصلاة عرضت على من كان قبلكم فضيعوها، فمن حافظ عليها كان له أجره مرتين، ولا صلاة بعدها؛ حتى يطلع الشاهد " والشاهد النجم[3].

وعن خباب-رضي الله عنه- قال: شكونا إلى رسول الله -ﷺ- وهو متوسد بُردةً له في ظل الكعبة، قلنا له: ألا تستنصر لنا، ألا تدعو الله لنا؟ قال:" كان الرجل فيمن قبلكم، يحفر له في الأرض، فيجعل فيه، فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيشق باثنتين، وما يصده ذلك عن دينه، ويمشَط بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظم أو عصب، وما يصده ذلك عن دينه.

والله ليتمَّنَّ هذا الأمر؛ حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله، أو الذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون "[4].

وعن معاوية بن أبي سفيان -رضي الله عنهما- قال: ألا إن رسول الله -ﷺ- قام فينا، فقال: " ألا إن من قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على ثنتين وسبعين ملة، وإن هذه الملة ستفترق على ثلاث وسبعين، ثنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنة، وهي الجماعة "[5].

---

[1] (4) أخرجه مسلم:(214) برقم:(532).
[2] (5) أخرجه البخاري:(105) برقم:(435) ومسلم:(214) برقم:(531).
[3] (1) أخرجه مسلم:(322) برقم:(830).
[4] (2) أخرجه البخاري:(690) برقم:(3612).

وعن محمد بن قيس بن مخرمة أن رســـول الله -- خطب يوم عرفة فقـال: " هـذا يـوم الحج الأكـبر إن من كـان قبلكم من أهل الأوثان والجاهلية كانوا يفيضون إذا رئيت الشمس على الجبال كأنها عمائم الرجال، ويدفعون من جمع إذا أشرقت على الجبال كأنها عمـائم الرجـال، فخـالف هـدينا هـدي أهل الشـرك والأوثان "[1].

وعن أبي هريرة - رضـي اللـه عنـه- أن النـبي -- قـال:" إن اليهود والنصارى لا يصبغون، فخالفوهم "[2].

وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي-- قال:" لا يزال الــدين ظــاهراً ما عجل النــاس الفطر؛ لأن اليهــود والنصــارى يؤخرون "[3].

وعن أبي الدرداء - رضي الله عنه- قال: كنا مع رسول الله- - فشخص ببصره إلى السماء ثم قال:" هذا أوان يختلس العلم من الناس؛ حتى لا يقدروا منه على شـيء " فقـال زيـاد بن لبيد الأنصـــاري: كيف يختلس العلم منا، وقد قرأنا القـــرآن فوالله لنقرأنه، ولنقرئنه نساءنا وأبناءنا؟ فقال:" ثكلتك أمك يا زياد، إن كنت لأعدك من فقهـاء أهل المدينة، هـذه التـوراة والإنجيل عند اليهود والنصارى، فماذا تغني عنهم؟! "[4].

(أي: فكما لم تفـدهم قراءتهما مع عــدم العلم بما فيهما، فكذلك أنتم)[5].

---

[5] (3) أخرجه أبو داود:(503)، برقم:(4597)، وأحمد:(28/ 134) برقم:(16937) وقال محققه شعيب الأرنؤوط:(إسناده حسن، وحديث افتراق الأمـة منه صـحيح بشـواهده) والطـبراني: المعجم الكبـير:(19/ـ 376)ـ بـرقم:(884)ـ والحـاكم:(1/128)ـ بـرقم:(443)ـ وصحح الحديث الشـاطبي: الإعتصـام:(2/189) وصـححه الألبـاني: السلسـلة الصحيحة: برقم:(204).

[1] (4) أخرجه أبو داود: المراسيل:(154) برقم:(151).

[2] (1) أخرجه البخاري:(1149) برقم:(5899) ومسلم:(871) برقم:(2103).

[3] (2) أخرجه أبو داود:(268) برقم:(2353).

[4] (3) أخرجه الترمذي:(430) برقم:(2653) وقال:(هذا حديث حسن غريب) والحاكم: المستدرك:(1/ 179) برقم:(338) وقال:(هذا إسناد صحيح) ووافقه الذهبي.

[5] (4) المباركفوري: تحفة الأحوذي:(7/ 345).

المبحث الرابع

التحذير من أوصاف معينة

إن أظهر هـذه الأوصـاف المحـذر منهـا: التفـرق، والأمر بلـزوم الجماعة.

إن جمع كلمة الأمة على الحــق، وتــأليف قلــوبهم، من مقاصد الإسـلام العظمى لـذلك جـاء التحـذير في القـرآن والسـنة من التفرق ومن تلك النصوص:

قول الله تعالى: ﭽ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﭼ[آل عمران:105 -107].

قال ابن جرير الطـبري – رحمه اللـه-:(ولا تكونـوا يا معشر الذين آمنـوا كالـذين تفرقـوا من أهل الكتـاب واختلفـوا في دين الله، وأمــره ونهيه من بعد ما جــاءهم البينــات، من حجج اللــه، فيما اختلفوا فيه، وعلموا الحق فيه فتعمدوا خلافه، وخالفوا أمرَ الله، ونقضوا عهده وميثاقه جـراءة على الله وأولئك لهم يعـني: ولهـؤلاء الــذين تفرقــوا، واختلفــوا من أهل الكتــاب من بعد ما جاءهم عذاب من عند الله عظيم.

يقول جل ثناؤه: فلا تتفرقوا، يا معشر المؤمــنين، في دينكم تفــرُّق هــؤلاء في دينهم، ولا تفعلــوا فعلهم، وتســتنوا في دينكم بسنتهم، فيكون لكم من عذاب الله العظيم مثل الذي لهم)[1] .

---

[1] (1) جامع البيان:(4/39).

ونقل الإمام الشاطبي عن الإمام مالك -رحمهما الله- في هذه الآية قوله:(فأي كلام أبين من هذا، فرأيته يتأولها لأهل الأهواء)[1].

وقال تعالى: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﭼ[الأنعام:159]

وفي هذه الآية البراءة العامة من كل من فارق دين الله – عز وجل-.

قال الطبري -رحمه الله-:(إن الله أخبر نبيه -ﷺ- أنه بريء ممن فارق دينه الحق وفرقه، وكانوا فرقًا فيه وأحزاباً شيعاً، وأنه ليس منهم، ولا هم منه، لأن دينه الذي بعثه الله به هو الإسلام، دين إبراهيم الحنيفية، كما قال له ربه وأمره أن يقول: ﭽ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﭼ [الأنعام: 161].

فكان من فارق دينه الذي بعث به -ﷺ- من مشرك ووثنيّ يهودي ونصرانيّ ومتحنِّف، مبتدع قد ابتدع في الدين ما ضلّ به عن الصراط المستقيم والدين القيم ملة إبراهيم المسلم، فهو بريء من محمد -ﷺ- ومحمد منه بريء، وهو داخل في عموم قوله: { ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ })[2].

وقال ابن كثير-رحمه الله-:(الظاهر الآية عامة في كل من فارق دين الله، وكان مخالفاً له، فإن الله بعث رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، وشرعه واحد لا اختلاف فيه ولا افتراق، فمن اختلف فيه { ﮃ ﮄ } أي: فرقاً كأهل الملل والنحل -وهي الأهواء والضلالات -فالله قد برأ رسوله مما هم فيه)[3].

(وإذا كان الله قد برأ رسوله -ﷺ- من جميع أمورهم، فمن كان متبعا للرسول -ﷺ- حقيقة كان متبرئاً منهم، كتبرئه -ﷺ- منهم، ومن كان موافقا لهم كان مخالفاً للرسول -ﷺ- بقدر موافقته لهم)[4].

---

[1] (1) الاعتصام:(2/290).
[2] (2) جامع البيان:(12/271).
[3] (3) تفسير القرآن العظيم:(3/377)
[4] (1) ابن تيمية: اقتضاء الصراط المستقيم:(1/153).

ونقل الشاطبي - رحمه الله- عن بعض العلماء قوله:(ظاهر القرآن يدل على أن كل من ابتدع في الدين بدعة من الخــوارج وغــيرهم، فهو داخل في هــذه الآية؛ لأنهم إذا ابتــدعوا تجــادلوا وتخاصموا، وتفرقوا وكانوا شيعاً)[1].

فدلت الآية الكريمة بهذا على أن الله سبحانه يأمر بالاجتماع والائتلاف، وينهى عن التفرق والاختلاف[2].

كما وردت أحــاديث في الأمر بلــزوم الجماعة والتحــذير من الفرقة، ومنها:

1- عن حذيفة بن اليمـان – رضـي اللـه عنهمـا- قـال: كـان النــاس يســألون رســول الله -ﷺ- عن الخــير، وكنت أســأله عن الشر؛ مخافة أن يدركني.

فقلت: يا رســـول الله إنا كنا في جاهلية وشـــر، فجاءنا الله بهـذا الخـير، فهل بعد هـذا الخـير من شر؟ قـال: " نعم " قلت: وهل بعد ذلك الشر من خـــير؟ قـــال:" نعم، وفيه دَخَنٌ " قلت: وَمَا دَخَنُهُ؟ قال:" قوم يهدون بغـير هـديي تعـرف منهم، وتنكر " قلت: فهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال:" نعم، دعاة إلى أبواب جهنم، من أجابهم إليها قذفوه فيها " قلت: يا رسول الله صفهم لنا، فقــال: " هم من جلــدتنا، ويتكلمــون بألســنتنا " قلت: فما تــأمرني إن أدركني ذلك؟ قـــال: " تلـــزم جماعة المســـلمين وإمــامهم " قلت: فــإن لم يكن لهم جماعة ولا إمــام؟ قــال:" فــاعتزل تلك الفــرق كلهــا، ولو أن تعض بأصل شــجرة؛ حــتى يدركك الموت، وأنت على ذلك "[3].

قال ابن بطال –رحمه الله-:(فيه حجة لجماعة الفقهــاء في وجوب لزوم جماعة المسلمين، وترك الخروج على أئمة الجـور؛ لأنه وصف الطائفة الأخيرة بـأنهم دعـاة على أبـواب جهنم، ولم يقل فيهم تعــرف وتنكر، كما قــال في الأولين، وهم لا يكونــون كذلك إلا وهم على غير حق، وأمر مع ذلك بلزوم الجماعة)[4].

---

[1] (2) الاعتصام:(1/81).
[2] (3) انظر: ابن سعدي: تيسير الكريم الرحمن:(282).
[3] (4) رواه البخاري:(1353) برقم:(7084) ومسلم:(771) برقم:(1847).
[4] (1) ابن حجر: فتح الباري:(13/37).

2- وعن ابن عمر – رضـي اللـه عنهمـا- أن رسـول الله -ﷺ- قال:" إن الله لا يجمع أمتي، أو قال أمة محمد -ﷺ- على ضـلالة، ويدُ الله مع الجماعة، ومن شذَّ شذَّ إلى النار "[1].

3- عن ابن عباس - رضى الله عنهما - عن النـبي -ﷺ- قـال:" من رأى من أميره شـيئاً يَكْرَهُـهُ، فليصـبر عليـه، فإنه من فـارق الجماعة شبراً فمات، إلا مات مِيتَةً جَاهِلِيَّةً "[2].

4- وعن أبي ذر -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -ﷺ-:" من فارق الجماعة شبراً، فقد خلع رِبْقَةَ الإسلام من عنقه "[3].

ولقد أخـبر النـبي -ﷺ- عن وقـوع هـذا الافـتراق في الأمة في جملة أحاديث من أشهرها الحديث المعـروف بحـديث الافـتراق، وهو إخبار مقترن بالتحذير من الفعل.

فعن أبى هريرة - رضي الله عنـه- قـال: قـال رسـول الله -ﷺ-:" افتَرَقَت اليهود على إحدى أو ثنتين وسبعين فِرقةً، وتَفرَّقت النصارى على إحدى أو ثنتين وسبعين فرقةً، وتفتَـرقُ أمَّتي على ثلاث وسبعين فرقة "[4].

وفي بعض الروايات:" ثنتان وسبعون في النـار وواحـدة في الجنة، وهي الجماعة "[5].

ولكن هذا الوقوع لا يمهد العذر للنـاس في التفـرق عن دين الله، ومفارقة جماعة المسلمين.

---

[1] (2) أخرجه الترمذي:(360)، برقم:(2167)، وقال:(غريب من هذا الوجه) والحاكم:(1/ 201)، برقم:(397)، وابن أبي عاصم: السنة: برقم:(80)، واللالكائي: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة:(1/106)، وفي سنده:(سليمان بن سفيان) وهو ضعيف كما في التقريب:(1/251)، ورواه الطبراني بإسنادين: رجال أحدهما رجال الصحيح خلا مـرزوق مـولى آل طلحـة، وهو ثقة قـال الهيثمي:(رجاله رجـال الصـحيح خلا علي بن إسـحاق وهو ثقة) مجمع الزوائد:(5/217)، وقـال الألبـاني في رواية الطـبراني:(هـذا إسناد صحيح رجاله ثقات): ظلال الجنة في تخريج السنة:(40).

[2] (3) رواه البخاري:(1349) برقم:(7054) ومسلم:(772) برقم:(1849).

[3] (4) رواه أبو داود:(518)، بـرقم:(4758)، وأحمد: المسـند:(35/ 444)، بـرقم:(21560)، وقال شعيب الأرنؤوط:(صـحيح لغـيره) وقـال الهيثمي:(رواه أحمد ورجاله ثقات رجال الصحيح خلا علي بن إسحاق السلمي وهو ثقة) مجمع الزوائد:(5/217).

[4] (1) سبق تخريجه:(4).

[5] (2) سبق تخريجه:(31).

والتفرق وإن كـان أمـراً مقـدراً إلا أننـا مطـالبون بالبعـد عن أسبابه، فإن هناك فرقـاً بين الإرادة الشـرعية، والإرادة الكونيـة القدرية، ففرق بين ما أراده الله بنا، وما أراده الله منا.

يقول شيخ الإسلام ابن تيميـة –رحمـه اللـه-:(وهـذا المعـنى محفـــوظ عن النـــبي-ﷺ- من غـــير وجه، يشـــير إلى أن الفرقة والاختلاف لا بد من وقوعهما في الأمة، وكـــان يحـــذر أمته منه؛ لينجو من الوقوع فيه من شاء الله له السلامة)[1].

---

[1](3) اقتضاء الصراط المستقيم:(1/122-123).

المبحث الخامس

التحذير من الإحداث والابتداع

(البدعة في الدين هي ما لم يشرعه لله ورسوله، وهو ما لم يأمر به أمر إيجاب ولا استحباب، فأما ما أمر به أمر إيجاب، أو استحباب، وعلم الأمر به بالأدلة الشرعية، فهو من الدين الذي شرعه الله، وإن تنازع أولو الأمر في بعض ذلك، وسواء كان هذا مفعولاً على عهد النبي صلى -ﷺ- أو لم يكن)[1].

وقال ابن رجب-رحمه الله-:(والمراد بالبدعة: ما أُحْدِثَ ممَّا لا أصل له في الشريعة يدلُّ عليه، فأمَّا ما كان له أصلٌ مِنَ الشَّرع يدلُّ عليه، فليس ببدعةٍ شرعاً، وإنْ كان بدعةً لغةً)[2].

وقال الشاطبي-رحمه الله-:(البدعة إذن عبارة عن: طريقة في الدين مخترعة، تضاهي الشرعية، يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله سبحانه)[3].

ولقد جاء التحذير من الابتداع في الدين في كثير من النصوص، فمن ذلك:

قوله تعالى: ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ [المائدة:3].

قال ابن سعدي-رحمه الله-:({ ﭺ ﭻ ﭼ } بتمام النصر، وتكميل الشرائع الظاهرة والباطنة، الأصول والفروع، ولهذا كان الكتاب والسنة كافيين كل الكفاية، في أحكام الدين أصوله وفروعه.

فكل متكلف يزعم أنه لا بد للناس في معرفة عقائدهم وأحكامهم إلى علوم غير علم الكتاب والسنة، من علم الكلام وغيره، فهو جاهل، مبطل في دعواه، قد زعم أن الدين لا يكمل إلا بما قاله ودعا إليه، وهذا من أعظم الظلم والتجهيل لله ولرسوله)[4].

---

[1] (1) ابن تيمية: الفتاوى:(4/107-108).
[2] (2) جامع العلوم:(265).
[3] (3) الاعتصام:(1/37).
[4] (1) تيسير الكريم الرحمن:(219).

وفي الحديث عن جابر بن عبد الله - رضـي اللـه عنهمـا- أن رسول الله -ﷺ- قـال: " أما بعد: فـإن خـير الحـديث كتـاب اللـه، وخـير الهـدي هـدي محمـد، وشر الأمـور محـدثاتها، وكل بدعة ضلالة "[1] وفي رواية:" وكل ضلالة في النار "[2].

وعن عائشة -رضي الله عنها- قـالت: قـال رسـول الله-ﷺ-:" من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه، فهو رد "[3].

وفي رواية: " من عمل عملاً ليس عليه أمرنا، فهو رد "[4].

قال النووي – رحمه اللـه-:(قوله -ﷺ-:" من أحـدث في أمرنا هــذا ما ليس منه فهو رد " وفي الرواية الثانية:" من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد" قـــال أهل العربية: الـــرد هنا بمعـــنى المردود، ومعناه فهو باطل غير معتد به.

وهـذا الحـديث قاعـدة عظيمة من قواعد الإسـلام، وهو من جوامع كلمه -ﷺ- فإنه صريح في رد كل البدع والمخترعات، وفي الرواية الثانية: زيادة وهي: أنه قد يعاند بعض الفاعلين في بدعة سبق إليها، فإذا احتج عليه بالرواية الأولى، يقول: أنا ما أحـــدثت شيئاً فيحتج عليه بالثانية التي فيها التصـريح بـرد كل المحـدثات سواء أحدثها الفاعل، أو سبق بإحداثها) وأضاف:(وهذا الحديث مما ينبغي حفظه واسـتعماله في إبطـال المنكـرات، وإشـاعة الاستدلال به)[5].

قال ابن رجب- رحمه اللـه-:(هـذا الحـديث أصل عظيم من أصول الإسلام كما أن حديث:" الأعمال بالنيات" ميزان للأعمال في باطنها، وهو ميزان للأعمـال في ظاهرها، فكما أن كل عمل لا يراد به وجه الله –تعالى- فليس لعامله فيه ثواب، فكـذلك كل عمل لا يكـون عليه أمر الله ورسـوله، فهو مـردود على عامله،

---

[1] (2) رواه مسلم:(335) برقم:(867).
[2] (3) رواها النسـائي:(186) بـرقم:(1578) وقـال الألبـاني:(سـندها صـحيح) إرواء الغليل:(3/ 73).
[3] (4) أخرجه البخاري:(514) برقم:(2697) ومسلم:(714) برقم:(1718).
[4] (5) أخرجه البخاري معلقاً: صحيفة:(1400) ومسلم:(714) برقم:(1718).
[5] (1) شرح صحيح مسلم:(12/16).

وكل من أحدث في الدين ما لم يأذن به الله ورسوله -- فليس من الدين في شيء)[1].

وقال ابن رجب – رحمه الله- أيضاً:(فهذا الحديث يدل بمنطوقه: على أن كل عمل ليس عليه أمر الشارع فهو مردود، ويدل بمفهومه: على أن كل عمل عليه أمره فهو غير مردود، والمراد بأمره ههنا دينه وشرعه، كالمراد بقوله في الرواية الأخرى:" من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه فهو رد ".

فالمعنى إذا: أن من كان عمله خارجاً عن الشرع ليس متقيداً بالشرع فهو مردود.

وقوله:" ليس عليه أمرنا " إشارة إلى أن أعمال العاملين كلهم ينبغي أن تكون تحت أحكام الشريعة فتكون أحكام الشريعة حاكمة عليها بأمرها ونهيها، فمن كان عمله جاريا تحت أحكام الشريعة موافقا لها، فهو مقبول، ومن كان خارجاً عن ذلك، فهو مردود، فأما العبادات فما كان منها خارجاً عن حكم الله ورسوله بالكلية فهو مردود على عامله، وعامله يدخل تحت قوله تعالى: ﭽ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﭼ [الشورى:21] فمن تقرب إلى الله بعمل لم يجعله الله ورسوله قربة إلى الله، فعمله باطل، مردود عليه)[2].

وعن العرباض –رضي الله عنه- قال: صلى بنا رسول الله -- ذات يوم ثم أقبل علينا فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب فقال قائل: يا رسول الله كأن هذه موعظة مودع فماذا تعهد إلينا فقال:" أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة، وإن عبداً حبشياً، فإنه من يعش منكم بعدي، فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة "[3].

---

[1] (2) جامع العلوم والحكم:(1/176).

[2] (1) المصدر السابق:(1/177-178).

[3] (2) أخرجه أبو داود: (504)، برقم:(4607) والترمذي:(433)، برقم:(2676) وقال:(هذا حديث حسن صحيح) وابن ماجه:(22)، برقم:(42)، وأحمد:(28/ 367) برقم:(17142)، وقال شعيب الأرنؤوط:(حديث صحيح بطرقه وشواهده وهذا إسناد حسن) والحاكم: المستدرك:(1/175)، برقم:(331)، وقال:(وقد تابع عبد الرحمن بن

قـــال ابن رجب -رحمـــه اللـــه-:(وإنما وصف الخلفـــاء بالراشدين؛ لأنهم عرفوا الحق وقضوا به، والراشد ضد الغـاوي، والغاوي من عـرف الحق وعمل بخلافه، وفي رواية:" المهـديين " يعني أن الله يهديهم للحق ولا يضلهم عنه.

فالأقسام ثلاثة: راشد، وغاو، وضال.

فالراشد عـــرف الحق واتبعه، والغـــاوي عرفه ولم يتبعه، والضـــــال لم يعرفه بالكلية، فكل راشد فهو مهتد، وكل مهتد هداية تامة فهو راشد؛ لأن الهداية إنما تتم بمعرفة الحق، والعمل به أيضاً.

وقوله:" عضوا عليها بالنواجذ " كناية عن شـدة التمسك بها، والنواجذ الأضراس.

قوله:" وإيـاكم ومحـدثات الأمـور، فـإن كل بدعة ضـلالة " تحـــذير للأمة من اتبـــاع الأمـــور المحدثة المبتدعة، وأكد ذلك بقوله:" كل بدعة ضلالة "

والمراد بالبدعة: ما أحدث مما لا أصل له في الشريعة يـدل عليه، وأما ما كـان له أصل من الشـرع يـدل عليه فليس ببدعة شرعاً، وإن كان بدعة لغة)[1].

قال ابن رجب – رحمـه اللـه-:(قوله -ﷺ-" كل بدعة ضـلالة " من جوامع الكلم لا يخرج عنه شيء وهو أصل عظيم من أصول الـدين وهو شـبيه بقوله -ﷺ-:" من أحـدث في أمرنا ما ليس منه فهو رد " فكل من أحـدث شـيئاً، ونسـبه إلى الـدين ولم يكن له أصل من الدين يرجع إليه، فهو ضلالة، والدين بريء منه وسـواء في ذلك مسائل الاعتقـادات، أو الأعمـال، أو الأقـوال الظـاهرة، والباطنة.

عمرو على روايته عن العرباض بن سارية ثلاثة من الثقات الأثبات من أئمة أهل الشام منهم: حجر بن حجر الكلاعي) وقـال ابن رجب:(هـذا في الظـاهر إسـناد جيد متصـل، ورواته ثقـات مشـهورون، وقد صـرح فيه بالسـماع) جـامع العلـوم:(2/110)ـ وقـال الحافظ أبو نعيم:(حديث جيد من صحيح حديث الشاميين) ابن رجب: جـامع العلـوم:(2/109).

[1] (1) جامع العلوم والحكم:(2/126-127).

وأما ما وقع في كلام السلف من استحسان بعض البدع، فإنما ذلك في البدع اللغوية لا الشرعية)[1].

من وصايا السلف في التحذير من أهل البدع:

قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-:(سيأتي أناس سيجادلونكم بشبهات القرآن خذوهم بالسنن، فإن أصحاب السنن أعلم بكتاب الله)[2].

وعن عبد الله بن عمر – رضي الله عنهما- أنه قال لمن سأله عمن يقول لا قدر، قال: (إذا لقيت أولئك فأخبرهم أن ابن عمر منهم بريء وهم منه براء)[3].

وقال عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما-:(لا تجالس أهل الأهواء؛ فإن مجالستهم ممرضة للقلب)[4].

وقال الفضيل بن عياض -رحمه الله-:(صاحب البدعة لا تأمنه على دينك ولا تشاوره في أمرك، ولا تجلس إليه، فمن جلس إلى صاحب بدعة ورثه الله العمى)[5].

---

[1] (2) المصدر نفسه:(2/128)
[2] (3) رواه اللالكائي: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة::(1/123) برقم(202).
[3] (4) رواه عبد الله بن أحمد: السنة:(2/ 420).
[4] (1) رواه ابن بطة: الإبانة:(2/438).
[5] (2) رواه اللالكائي: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة:(1/ 138) برقم:(264).

المبحث السادس

التحذير من الفتن

إن الفتنة جنس تحته أنواع: من الشبهات، والشهوات[1] ويرجع المفسرون كل هذه المعاني والاستعمالات إلى أصل واحد هو: الابتلاء والاختبار الذي يعرض للأمة والأفراد.

والفتن مزلة أقدام للناس، ومفاتيح انحراف، ولذلك حذرنا الرسول -ﷺ- من الفتن وتنبيهه – عليه الصلاة والسلام- للفتن جزءٌ من كمال هذه الشريعة، فلم يمت – عليه الصلاة والسلام- إلا وقد حذر أمته من كل شرٍ وبلاءٍ يصيبها، والفتن من جملة تلك الشرور.

فعن حذيفة -رضي الله عنه- قال:(والله إني لأعلم الناس بكل فتنة هي كائنة فيما بيني وبين الساعة، وما بي إلا أن يكون رسول الله -ﷺ- أسر إليَّ في ذلك شيئاً لم يحدثه غيري، ولكن رسول الله -ﷺ- قال وهو يحدِّث مجلسا أنا فيه عن الفتن، فقال رسول الله -ﷺ- وهو يَعدُ الفتن: " منهن ثلاث لا يكدن يذرن شيئاً، ومنهن فتن كرياح الصيف، منها صغار، ومنها كبار " قال حذيفة: فذهب أولئك الرهط كلهم غيري)[2].

وقال حذيفة -رضي الله عنه-:(أخبرني رسول الله -ﷺ- بما هو كائن إلى أن تقوم الساعة، فما منه شيء إلا قد سألته إلا أني لم أسأله ما يخرج أهل المدينة من المدينة؟)[3].

وعن أبي ذر -رضي الله عنه- قال:(تركنا رسول الله -ﷺ- وما طائر يطير بجناحيه إلا عندنا منه علم)[4].

بل إن النبي-ﷺ- خطب في الصحابة -رضوان الله عليهم- نهاراً كاملاً، وبين لهم ما كان، وما هو كائن إلى قيام الساعة.

---

[1] (1) انظر: شيخ الإسلام ابن تيمية: جامع الرسائل:(2/273).

[2] (2) رواه مسلم:(1158) برقم:(2891).

[3] (1) رواه مسلم:(1159) برقم:(2891).

[4] (2) رواه ابن حبان:(1/267) برقم:(65) والطبراني: المعجم الكبير:(2/155) برقم:(1647)، وقال شعيب الأرنؤوط:(إسناده صحيح) وقال الألباني:(إسناده صحيح) السلسلة الصحيحة:برقم:(1803).

فعن أبي زيد عمرو بن أخطب -رضي الله عنه- قال:(صلى بنا رسول الله -ﷺ-الفجر، وصعد المنبر، فَخَطَبَنَا؛ حتى حضرت الظهر، فنزل فصلى، ثم صعد المنبر فخطبنا حتى حضرت العصر، ثم نزل فصلى، ثم صعد المنبر، فخطبنا؛ حتى غربت الشمس، فأخبرنا بما كان، وبما هو كائن، فأعلمُنا أحفظُنا)[1].

و عن حذيفة -رضي الله عنه- قال: (لقد خطبنا النبي -ﷺ- خطبةً ما ترك فيها شيئاً إلى قيام الساعة إلا ذكره، عَلِمَهُ من علمه، وجهله من جهله، إن كنت لأرى الشيء قد نسيت، فأعرفه كما يعرف الرجل إذا غاب عنه، فرآه فعرفه)[2].

ولم يترك -ﷺ- فتنة، ولا قائد فتنة مؤثرة في تاريخ الأمة إلا ذكره باسمه، واسم أبيه.

فعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما- قال: (والله ما أدري أنسي أصحابي أم تناسوا، والله ما ترك رسول الله-ﷺ- من قائد فتنة إلى أن تنقضي الدنيا يبلغ من معه ثلاثمائة فصاعداً إلا قد سماه لنا باسمه، واسم أبيه، واسم قبيلته)[3].

فظاهر من هذه الأخبار والتحذيرات، وغيرها من الأخبار:

اهتمام النبي-ﷺ- بتحذير أمته من الفتن والشرور، هذا التحذير الذي اتخذ صوراً وألواناً مختلفة؛ ليكون أدعى للفهم، وأبلغ في النذارة:

فتارة يحذر من الفتن مقرباً لها: فعن أسامة بن زيد -رضي الله عنهما- قال: أشرف النبي -ﷺ- على أطم من آطام المدينة، فقال: " هل ترون ما أرى؟ " قالوا: لا، قال: " فإني لأرى الفتن تقع خلال بيوتكم، كوقع القَطر "[4].

قال الحافظ ابن حجر- رحمه الله- على هذا الحديث: (والمراد بالمواقع مواضع السقوط، والخلال النواحي)، (وإنما اختصت المدينة بذلك؛ لأن قتل عثمان -رضي الله عنه- كان بها،

---

[1] (3) رواه مسلم:(1159) برقم:(2892).
[2] (4) رواه البخاري:(1262) برقم:(6604) ومسلم:(1159) برقم:(2891).
[3] (1) رواه أبو داود:(463) برقم:(4243).
[4] (2) رواه البخاري:(1350) برقم:(7059).

ثم انتشرت الفتن في البلاد بعد ذلك، فالقتـال بالجمل وبصـفين كان بسبب قتل عثمان، والقتال بالنهروان كـان بسـبب التحكيم بصفين، وكل قتال وقع في ذلك العصر إنما تولد عن شـيء من ذلك، أو عن شيء تولد عنه)، (وحسن التشبيه بـالمطر؛ لإرادة التعميم؛ لأنه إذا وقع في أرض معينة عمها، ولو في بعض جهاتها)، (وأخبر في حديث أسامة بوقوع الفتن خلال البيوت؛ ليتـأهبوا لها فلا يخوضوا فيها، ويسألوا الله الصبر، والنجاة من شرها)[1].

وعن عائشة – رضي الله عنها- أن رسول الله-ﷺ- خـرج ذات يـوم، نصف النهـار، مشـتملاً بثوبه، محمـرة عينـاه، وهو ينـادى بأعلى صوته: " أيها الناس: أظلتكم الفتن كقطع الليل المظلم.

أيها الناس: لو تعلمـون ما أعلم لبكيتم كثـيراً وضـحكتم قليلا "[2].

وتـارة يقربها محـذراً العـرب منها خاصـة: فعن أم المؤمـــنين زينب بنت جحش -رضي الله عنهـــا- أنها قـــالت: استيقظ النبي-ﷺ- من النوم محمراً وجهه يقـول: " لا إله إلا الله، ويل للعــرب من شر قد اقــترب، فتح اليــوم من ردم يــأجوج ومأجوج مثل هذه " وعقد سـفيان تسـعين أو مائة، قيل: أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: " نعم، إذا كثر الخبث "[3].

قال ابن بطال – رحمه الله-:(هـذه الأحـاديث كلها مما أنـذر النبي – عليه الصلاة والسلام- بها أمنه، وعرَّفهم قـرب السـاعة؛ لكي يتوبـوا قبل أن يهجم عليهم وقت غلق بـاب التوبـة؛ حين لا ينفع نفسـاً إيمانها لم تكن أمنت من قبـل، وقد ثبت أن خـروج يأجوج ومأجوج من آخر الأشراط، فإذا فتح من ردمهم في وقته – عليه السـلام- مثل عقد التسـعين أو المائـة، فلا يـزال الفتح يستدير ويتسع على مرِّ الأوقات، وهذا الحديث في معنى قولـه- عليه السـلام-: " بعثت أنا والسـاعة كهـاتين، وأشـار بأصـبعيه

[1] (3) فتح الباري:(13/13).
[2] (1) رواه أحمد:(41/ 66) برقم:(24520) قال شـعيب الأرنـؤوط:(إسـناده صـحيح على شرط الشيخين).
[3] (2) أخرجه البخاري:(639) برقم:(3346) ومسلم:(1154) برقم:(2880).

السبابة والتي تليها "[1]) وَ (عن أبي هريرة - رضي الله عنه- قال: قال رسول الله-ﷺ-: " ويل للعرب من شر قد اقترب، موتوا إن استطعتم "[2].

وهذا غاية في التحذير من الفتن، والخوض فيها؛ حين جعل الموت خيراً من مباشرتها، وكذلك أخبر في حديث أسامة بوقوع الفتن خلال بيوتهم؛ ليتوقفوا ولا يخوضوا فيها، ويتأهبوا لنزولها بالصبر، ويسألوا الله العصمة منها، والنجاة من شرها)[3].

وقال ابن العربي – رحمه الله-:(وفائدة قوله: " نعم " في هلاك الصالح مع الطالح: البيان بأن الخَيِّر يهلك بهلاك الشرير، وفيه وجهان:

أحدهما: أنه إذا لم يغير عليه خبثه، أو إذا غير لكنه لم ينفع التغيير، بل كثر المكر بعد النكير، فيهلك حينئذٍ القليل والكثير، ويحشر كل أحد على نيته)[4].

قال ابن حجر – رحمه الله-:(وكأنها فهمت من فتح القدر المذكور من الردم أن الأمر إذا تمادى على ذلك اتسع الخرق حيث يخرجون، وكأن عندهم علم أن في خروجهم على الناس إهلاكاً عاماً لهم)[5].

و (إنما خص العرب بالذكر؛ لأنهم أول من دخل في الإسلام، وللإنذار بأن الفتن إذا وقعت كانت أسرَعَ إليهم)[6].

وفي التذكرة للقرطبي – رحمه الله-:(فأخبر – عليه الصلاة والسلام – بما يكون بعده من أمر العرب، وما يستقبلهم من الويل والحرب.

---

[1] (3) أخرجه البخاري:(976) برقم:(4936) ومسلم:(1185) برقم:(2950).
[2] (4) أخرجه الحاكم: المستدرك:(4/ 486) برقم(8357) وقال:(حديث صحيح على شرط مسلم) ووافقه الذهبي.
[3] (5) شرح صحيح البخاري:(11/10-12).
[4] (1) عارضة الأحوذي:(9/36).
[5] (2) فتح الباري:(13/109).
[6] (3) المصدر نفسه:(13/11).

وقد وجد ذلك بما أســـتؤثر عليهم به من الملك والدولـــة، والأمـوال والإمـارة، فصـار ذلك في غـيرهم من الـترك والعجم، وتشـــتتوا في الـــبراري بعد أن كـــان العز والـــدنيا والملك لهم؛ ببركته - عليه السلام- وما جـاءهم به من الـدين والإسـلام، فلما لم يشكروا النعمة وكفروها، بقتل بعضهم بعضاً، وسـلب عضـهم أموال عض سلبها الله منهم، ونقلها إلى غيرهم كما قال تعـالى: ﭽ   ﭼ [محمد: 38])[1].

ويأتي التحذير من أعمال معينة، أو صـفات: كما في الحديث عن أبي هريرة - رضي الله عنه- قال: قال رسـول الله -ﷺ-:" ستكون فتن القاعدُ فيها خير من القائم، والقائم فيها خـير من الماشي، والماشي فيها خير من السـاعي، ومن يشـرِف لها تستشرفه، ومن وجد ملجأ، أو معاذاً، فليعذ به "[2].

ومثل حـديث الافـتراق، فعن أبي هريـرة - رضي الله عنـه- قـال: قـال رسـول الله -ﷺ-:" افـترقت اليهـود على إحـدى وسبعين فرقة، وافترقت النصارى على إحدى أو اثنتين وسـبعين فرقة، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة "[3].

وفي بعض الروايات: " ثنتان وسبعون في النار، وواحدة في الجنة "[4].

(إن هذه الأحاديث وغيرها بلاغ من رسول اللـــه-ﷺ- لأمته لما سوف يحـدث لهم من انحرافـات، وفيها يخـاطب كل فـرد كيف ينجو مما سوف يحدث، فلا يكون لأي فـرد عـذر؛ حـتى لا يقـول قائـــل: إن رســـول الله -ﷺ- لم يبلغنا عما ســـوف يحـــدث، وهو الرسـول الخـاتم، والـذي لن يـأتي بعـده نـبي يرشد النـاس إلى الحـق، ولكن الله قد كشف لرسـوله ما سـوف يحـدث من فتنٍ وانحرافات؛ ليحق الحـق، ويبطل الباطـل، وتقـوم الحجة والبلاغ

---

[1] (4) صحيفة:(627).
[2] (1) رواه البخاري:(688) برقم:(3601) ومسلم:(1156) برقم:(2886).
[3] (2) سبق تخريجه:(4).
[4] (3) سبق تخريجه:(31).

على الناس، فلا يقول قائل: لم تبلغني الحجـة، فيتحقق أمر الله بأن لا تزر وازرة وزر أخرى)[1].

التحـذير من فتنٍ بتحديد شـخص رأس هـذه الفتنة: ومن ذلك كل الأحـاديث الـواردة في فتنة الـدجال، ومنهـا: عن عبيد الله بن مغفل - رضي الله عنه- قـال: قـال النـبي -ﷺ-:" أنَّه لم يكن نـبي إلا حـذر أمته الـدجال، وإنّي أنـذركموه، وأنه كـائن فيكم "[2].

وعن أبي عبيدة بن الجراح - رضي الله عنـه- قـال: سـمعت رسـول اللـه-ﷺ- يقـول: " إنَّه لم يكن نـبي بعد نـوح إلا وقد أنـذر الدجال قومه، وإنّي أنذركموه "[3].

التحـــــــــذير من فتن بتحديد عمل أهلها: ومن ذلك تحذيره-ﷺ- من المتنبئين بعده، فعن أبي هريرة - رضي الله عنه- عن النـبي-ﷺ- قـال:" ولا تقـوم السـاعة؛ حـتى يبعث دجّـالون كذابون، قريباً من ثلاثين، كلهم يزعم أنَّه رسول الله "[4].

وعن جابر بن سمرة - رضي الله عنه- قال: سمعت رسـول الله-ﷺ- يقول:" إنَّ بين يدي الساعة كذابين، فاحذروهم "[5].

وعن أبي بكـرة - رضي الله عنـه- قـال: أكـثر النـاس في مسيلمة قبل أن يقـول رسـول الله -ﷺ- فيه شـيئاً، فقـام رسـول الله-ﷺ- خطيباً، فقال: " أما بعد، ففي شأن هـذا الرجل الـذي قد أكـثرتم فيه، وإنَّه كـذابٌ من ثلاثين كـذاباً، يخرجـون بين يـدي الساعة "[6].

---

[1] (4) محمد الشباني: مختارات من أحاديث الفتن:(32).
[2] (5) رواه ابن حبان:(15/ 184) برقم:(6781) قال شعيب الأرنـؤوط:(إسـناده قابل للتحسين لو سلم من عنعنة الحسن فإن محمد بن مروان العقيلي صدوق له أوهام).
[3] (1) رواه أبو داود:(518) برقم:(4756) والترمذي:(369) برقم:(2234) وأحمد:(3/ 222) برقم: (1693) قال شعيب الأرنؤوط:(إسناده ضعيف)
[4] (2) رواه البخاري:(689) برقم:(3609) ومسلم:(1171) برقم:(157).
[5] (3) رواه مسلم:(761) برقم:(1822).
[6] (4) رواه أحمد:(34/ 72) برقم:(20428) قـال شـعيب الأرنـؤوط:(إسـناده ضـعيف رجاله ثقـات رجـال الصـحيح لكن اختلف فيه على الزهـري) والحـاكم: المسـتدرك:(4/ 583) برقم:(8624) وابن حبان:(15/ 29) برقم:(6652).

وتارة يستعيذ من مضـلات الفتن، وفي ضـمن ذلك التحذير منها: فعن أم سلمة – رضي الله عنهـا- أن النـبي -ﷺ- كـان يكـثر في دعائه أن يقـول:" اللهم يا مقلب القلـوب، ثبت قلبي على دينك " فقلت: يا رسول الله، أو إن القلـوب لتتقلب؟ قال: " نعم، ما من خلق الله تعالى من بـني آدم من بشر إلا أن قلبه بين أصـبعين من أصـابع اللــه، فـإن شـاء الله- عز وجل- أقامه، وإن شاء أزاغـه، فنسـأل الله ربنا أن لا يزيغ قلوبنا بعد إذ هـــدانا، ونســـأله أن يهب لنا من لدنه رحمة إنه هو الوهـــاب " قالت: قلت: يا رسول الله، ألا تعلمني دعـوة أدعو بها لنفسـي؟ قــال:" بلى، قــولي: اللهم رب النــبي محمــد، اغفر لي ذنــبي، وأذهب غيظ قلـبي، وأجـرني من مضـلات الفتن ما أحييتـني "[1].

وهـذه الأخبـار، والتحـذيرات دالة على أهمية العلم بـالفتن؛ للحذر منها، وأخذ الأهبة لهـا، وقطع مواردها وأسـبابها، وسـلوك مسـالك النجـاة منهـا، وقد فقه صـحابة رسـول الله -ﷺ- ذلـك، فاهتموا بأحاديث الفتن، وحدثوا بها، ولقنوها الأمة؛ تحذيراً منهـا، ومن الوقوع فيها.

---

[1] (1) أخرجه أحمد: (44/200)، برقم:(26576)، وقال محققه شعيب الأرنؤوط:(بعضه صحيح بشـواهده، وهـذا إسـناد ضـعيف لضـعف شـهر بن حوشـب، وبقية رجاله رجـال الشيخين) والترمذي:(554) برقم (3522) وقال:(حديث حسن).

المبحث السابع

التحذير من الدجال

تستأثر أحاديث الفتن المحذرة من الـدجال، والمبينة لـه، مكانـاً كبـيراً من أحـاديث الرسـول -ﷺ- وهو في ذلك جـارٍ على سـنن الأنبياء - عليهم الصلاة والسـلام- الـذين حـذروا كلهم من أعظم الفتن:(فتنة المسيح الدجال).

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص – رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله -ﷺ-:" إنه لم يكن نبيٌ قبلي إلا كان حقاً عليه أن يـدل أمته على خـير ما يعلمه لهم، وينـذرهم شر ما يعلمه لهم، وإن أمتكم هــذه جعل عافيتها في أولها، وسيصــيب آخرها بلاءٌ، وأمور تنكرونها "[1] الحديث.

فاهتمت السنة كثيراً في بيان وتفصيل فتنة الدجال ولذلك – والله أعلم – للحاجة إلى ذلك التفصيل؛ لأن من مقتضيات قيـام الحجة أن يبين الأمر للناس بياناً شافياً كافياً،

ومن هنا جـاء وصف الـدجال في ذاته وصـفاً بينـاً، كما جـاء وصف فتنتـه، ومـدة لبثـه، ومن أين يخـرج، وكيفية مسـيرته في الأرض، كما ذكـرت الأحـاديث كثـيراً من الأحـداث المتعلقة بـه، وإن كـانت الأحــاديث، ليس فيها ذكر لبعض التفاصـيل الـتي لا حاجة للناس فيها، مثل تحديد السنة التي يخرج فيها ونحو ذلك.

أحاديث الدجال متواترة:

قـال ابن عطية – رحمه الله -: (وأجمعت الأمة على ما تضـمنه الحديث المتواتر من أن عيسى في السماء حيٌ، وأنه يـنزل في آخر الزمـان، فيقتل الخـنزير، ويكسر الصـليب، ويقتل الـدجال، ويُفيض العدل، وتظهر به ملة محمد -ﷺ- ويحجَّ البيت ويعتمر)[2].

وقــال الشــيخ محمد الكتــاني – رحمه الله –: (الأحــاديث الواردة في المهدي المنتظر متواترة، وكذا الواردة في الـدجال،

---

[1] (1) رواه مسلم:(770) برقم:(1844).
[2] (1) أبو حيان: البحر المحيط:(2/473).

وفي نزول سيدنا عيسى بن مريم – عليه الصلاة والسلام -) [(1)].

فتنة الدجال أعظم الفتن:

وأعظم الفتن الكائنة إلى قيام الساعة فتنة الدجال، وقد ورد وصفها في الأحاديث بأنها عظيمة، فعن جابر بن عبد الله – رضي الله عنهما-:" يخرج الدجال في خفقة من الدين وإدبار من العلم .. " الحديث إلى أن قال:" ومعه فتنةٌ عظيمةٌ؛ يأمر السماء فتمطر فيما يرى الناس، ويقتل نفساً ثم يحييها فيما يرى الناس " الحديث [(2)].

بل وُصفت بأنها (أعظم فتنة).

فعن أبي أمامة الباهلي -- قال: خطبنا رسول الله -- فكان أكثر خطبته حديثاً حدَّثَناه عن الدجال، وحذَّرناه، فكان من قوله أن قال:" إنه لم تكن فتنةٌ في الأرض منذ ذرأ الله ذريَّة آدم أعظم من فتنة الدجال، وإن الله لم يبعث نبياً إلا حذَّر أمته الدجال"[(3)].

وعن عبد الله بن مغفل -- قال: قال رسول الله --:" ما أهبط الله تعالى إلى الأرض منذ خلق آدم إلى أن تقوم الساعة فتنةً أعظم من فتنة الدجال، وقد قلتُ فيه قولاً لم يقله أحدٌ قبلي: إنَّه آدم، جعدٌ، ممسوح عين اليسار، على عينه ظفرةٌ غليظةٌ، وأنَّه يبرئ الأكمه والأبرص، ويقول: أنا ربُّكم، فمن قال: ربي الله، فلا فتنة عليه، ومن قال: أنت ربي فقد افتتن، يلبث فيكم ما شاء الله، ثم ينزل عيسى بن مريم مصدقاً بمحمدٍ -- على ملَّته إماماً مهدياً، وحكماً عدلاً فيقتل الدجال " [(4)].

---

[1](2) نظم المتناثر في الحديث المتواتر:(147).

[2](?) رواه الإمام أحمد (23/ 210) برقم:(14954) وقال شعيب الأرنؤوط:(إسناده على شرط مسلم) والحاكم (4/575) رقم:(8613) وقال:(صحيح الإسناد ولم يخرجاه)وقال الذهبي:(على شرط مسلم).

[3](?) رواه ابن ماجة:(439) برقم:(4077) والحاكم (4/580) برقم:(8620) وقال: (حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه بهذه السياقة).

[4](?) رواه الطبراني: المعجم الأوسط (5/27) برقم:(4580) والعقيلي: الضعفاء:(4/133) برقم (1691) وقال الهيثمي: مجمع الزوائد (7/335):(ورجاله ثقاتٌ، وفي بعضهم ضعفٌ لا يضر).

وعن هشام بن عامر -- قال: سمعتُ رسول الله -- يقول:" ما بين خلق آدم إلى قيام الساعة خلق أكبرُ من الدجال "[1].

وفي روايةٍ لأحمد قال: سمعتُ رسول الله -- يقول:" والله ما بين خلق آدم إلى قيام الساعة أمرٌ أعظم من الدجال "[2].

وفي روايةٍ للحاكم: " ما بين خلق آدم إلى قيام الساعة فتنةٌ أكبر عند الله من الدجال "[3].

وعن جابر بن عبد الله –رضي الله عنهما- أن رسول الله -- قال:" ما كانت فتنةٌ ولا تكون حتى قيام السَّاعة أكبر من فتنة الدجال.." الحديث[4].

وكل الفتن إلى قيام السَّاعة إنما وجدت ممهدةً لفتنة الدجال موطئة لها، فعن حذيفة بن اليمان -- قال: ذُكِرَ الدجال عند رسول الله -- فقال:" لأنا لفتنة بعضكم أخوف عندي من فتنة الدجال، ولن ينجوَ أحدٌ مما قبلها، إلا نجا منها، وما صنعت فتنة منذ كانت الدنيا صغيرةً ولا كبيرةً إلا لفتنة الدجال "[5].

وفي روايةٍ: كنَّا عند النبي -- - فذكر الدجال فقال:" لَفتنة بعضكم أخوف عندي من فتنة الدجال، إنها ليستْ فتنةً صغيرةً ولا كبيرةً إلا تتضع لفتنة الدجال، فمن نجا من فتنة ما قبلها نجا منها، وإنه لا يضر مسلماً، مكتوبٌ بين عينيه كافرٌ، مهجاة: ك ف ر "[6].

---

[1] (?) رواه مسلم (1184) رقم:(2946).

[2] (?) رواه أحمد (26/187)ـ برقم:(16255)ـ وقال شعيب الأرنؤوط:(حديث صحيح)والحاكم (4/573) رقم:(8610) وقال:(صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه) ووافقه الذهبي.

[3] (?) المستدرك (4/573)ـ برقم:(8610) وقال: "صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه" وأقره الذهبي .

[4] (?) رواه أحمد:(22/9)ـ برقم:(14112)ـ وقال شعيب الأرنؤوط:(صحيح بطرقه وشواهده، وهذا إسناد رجاله ثقات، رجال الشيخين إلا أنه منقطعٌ) وذكره الهيثمي: مجمع الزوائد (3/308).

[5] (?) رواه الإمام أحمد:(38/ 334) برقم:(23304) وقال شعيب الأرنؤوط:(إسناده صحيح على شرط الشيخين) وابن حبان:(15/ 218) برقم:(6807) وقال الهيثمي: مجمع الزوائد (7/335):(ورجاله رجال الصحيح).

[6] (?) رواها ابن حبان:(15/ 218) برقم:(6807)؛ قال شعيب الأرنؤوط:(إسناده صحيح).

فكان التحذير والتعوذ من شخص رأس هذه الفتنة:

عن عبيد الله بن مغفل - رضي الله عنه- قال: قـال النـبي - ﷺ-:" أنَّه لم يكن نبي إلا حذر أمته الـدجال، وإنّي أنـذركموه، وأنه كائن فيكم "[1].

وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -ﷺ-:" ألا أحدثكم حديثاً عن الدجال، ما حدث به نـبي قومه: إنه أعـور، وإنه يجيء معه بمثال الجنة والنـار، فـالتي يقـول إنها الجنة هي النار، وإني أنذركم كما أنذر به نوح قومه "[2].

وقال عقبة بن عمرو لحذيفة -رضي الـله عنـه- ألا تحـدثنا ما سـمعت من رسـول الله -ﷺ-؟ قـال: إني سـمعته يقـول:" إن مع الدجال إذا خرج ماءً وناراً، فأما التي يرى الناس أنها النـار فمـاء بارد، وأما الذي يرى الناس أنه ماء بارد فنـار تحـرق، فمن أدرك منكم، فليقع في الذي يرى أنها نار، فإنه عذب بارد "[3].

وعن أبي سعيد الخدري-رضي الـله عنـه- قـال: صـحبت ابن صائد إلى مكة فقال لي: أما قد لقيت من النـاس يزعمـون أني الـدجال ألست سـمعت رسـول الله -ﷺ- يقـول:" إنه لا يولد له " قال: قلت: بلى. قال: فقد ولد لي، أو ليس سمعت رسـول الله -ﷺ- يقــول:" لا يــدخل المدينة ولا مكة " قلت: بلى. قــال: فقد ولـدت بالمدينة، وهـذا أنا أريد مكة. قـال: ثم قـال لي في آخر قوله: أما والله إني لأعلم مولــــده، ومكانه، وأين هو. قـــال: فلبسني[4].

وعن أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه- قـال: قـال لي ابن صائد وأخـذتني منه ذمامة هـذا عـذرت النـاس وما لي ولكم؟ يا أصـــحاب محمد ألم يقل نـــبي الله -ﷺ-: " إنه يهــــودي " وقد أسـلمت. قـال:" ولا يولد له " وقد ولد لي، وقـال:" إن الله قد حرم عليه مكة " وقد حججت. قال: فما زال؛ حتى كـاد أن يأخذ

---

[1] (4) رواه ابن حبان:(15/ 184)، برقم:(6781)، قال شعيب الأرنؤوط:(إسناده قابل للتحسين لو سلم من عنعنة الحسن فإن محمد بن مروان العقيلي صدوق له أوهام).
[2] (5) رواه البخاري:(636) برقم:(3338) ومسلم:(1177) برقم:(2936).
[3] (1) رواه البخاري:(665) برقم:(3450) ومسلم:(1176) برقم:(2934 ، 2935).
[4] (2) رواه مسلم:(1172) برقم:(2927).

في قوله. قـــال: فقـــال له: أما والله إني لأعلم الآن حيث هو، وأعــرف أبــاه، وأمه. قــال: وقيل له: أيســرك أنك ذاك الرجل؟ قال: فقال: لو عرض علي ما كرهت[1].

وعن حذيفة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -ﷺ-:" لأنا أعلم بما مع الدجال منه معه نهران يجريان، أحــدهما رأى العين مـاء أبيض، والآخر رأى العين نـار تـأجج، فإما أدركن أحد فليـأت النهر الذي يراه نـاراً، وليغمض ثم ليطـأطئ رأسه فيشـرب منه فإنه ماء بـارد، وإن الـدجال ممسـوح العين عليها ظفـرة غليظة مكتوب بين عينيه: كافر يقرؤه كل مؤمن كاتب، وغير كاتب "[2].

كما جـاءت السـنة بالاسـتعاذة من شر هـذه الفتنة العظيمة:

ففي الحديث عن ابن عبـاس- رضي الله عنهمـا- أن رسـول الله -ﷺ- كان يعلمهم هذا الدعاء، كما يعلمهم السورة من القرآن يقول: " قولـوا: اللهم إنا نعـوذ بك من عـذاب جهنم، وأعــوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال، وأعــوذ بك من فتنة المحيا والممات "[3].

وعن عائشة -رضي الله عنها- أن النــبي-ﷺ- كــان يقــول: " اللهم إني أعوذ بك من الكسل، والهرم، والمأثم، والمغرم، ومن فتنة القبر، وعذاب القبر، ومن فتنة النار وعذاب النار، ومن شر فتنة الغـــنى، وأعـــوذ بك من فتنة الفقر، وأعـــوذ بك من فتنة المسيح الدجال "[4] الحديث.

وعن عائشة -رضي الله عنها- أن رسول الله -ﷺ- كـان يـدعو في الصلاة: " اللهم إني أعوذ بك من عـذاب القـبر، وأعـوذ بك من فتنة المسـيح الـدجال، وأعـوذ بك من فتنة المحيا، وفتنة الممات "[5] الحديث.

---

[1] (3) رواه مسلم:(1172) برقم:(2927).
[2] (1) رواه مسلم:(1176) برقم:(2934).
[3] (2) رواه مسلم:(235) برقم:(590).
[4] (3) رواه البخاري:(1223) برقم:(6368).
[5] (4) رواه البخاري:(170) برقم:(832) ومسلم:(234) برقم:(589).

وعن عائشة -رضي الله عنها- قالت: (سمعت رسول اللــه- - يستعيذ في صلاته من فتنة الدجال)[1].

مكان خروج الدجال:

وقد أخبر النبي -- بمكان خروج الـدجال، ففي الحـديث عن أبي بكر الصديق -- قال: حـدَّثنا رسـول الله -- قـال:" الـدَّجَّال يخرج من أرضٍ بالمشرق؛ يقال لها: خراسان " [2].

وعن أنس بن مالك -- قـال: قـال رسـول الله --:" يخــرج الدَّجَّال من يهودية أصبهان، مَعَه سبعون ألفاً من اليهود " [3].

قال ابن حجر –رحمه الله-: (وأمَّا من أين يخرج؟ فمن قِبَل المشرق جزماً.

ثم جاء في روايـةٍ: أنه يخرج من خراسان، أخــرج ذلك أحمد والحــاكم من حــديث أبـي بكــرٍ، وفي أخــرى: أنه يخــرج من أصبهان، أخرجها مسلم)[4].

وقــال ابن كثــير -رحمه اللــه-: (فيكــون بــدء ظهــوره من أصبهان من حارةٍ يقال لها: اليهوديَّة، وينصــره من أهلها سـبعون ألف يهودي، عليهم الأسلحة والسِّيْجَانُ، وهي الطيالسة الخضـر، وكـــذلك ينصـــره ســـبعون ألفـــاً من التتـــار وخلـــقٌ من أهل خراسان) [5].

ووصفه أنه أعور:

---

[1] (5) رواه البخاري:(170) برقم:(833) ومسلم:(234) برقم:(587).
[2] (?) رواه الترمذي(370) برقم:(2237) وابن ماجة:(438) برقم:(4072) وأحمد:(1/ 190) برقم: (12) وقال شـعيب الأرنـؤوط:(إسـناده صـحيح رجاله ثقـات رجـال الشيخين غير المغيرة بن سبيع) وصححه الألبانـي: صحيح الجامع: برقم:(3398).
[3] (?) رواه أحمد:(21/ 55) برقم:(13344) وقال شـعيب الأرنـؤوط:(حـديث حسن) وصححه ابن حجر في الفتح (13/340).
[4] (?) فتح الباري (13/97).
[5] (?) النهاية (1/205).

فعن أنس بن مالك -رضي الله عنه- قال: قال النبي -ﷺ-:" ما بُعثَ نبيٌ إلا وأنذر أمته الأعورَ الكذاب، ألا إنه أعور، وإن ربكم ليس بأعور، وإن بين عينيه مكتوب: كافر "[1].

وعن عبد الله ذكر النبي -ﷺ- يوماً بين ظهري الناس المسيح الدجال فقال:" إن الله ليس بأعور، ألا إن المسيح الدجال أعور العين اليمنى كأن عينه عنبة طافية، وأراني الليلة عند الكعبة في المنام، فإذا رجل آدم كأحسن ما يرى من أدم الرجال، تضرب لمته بين منكبيه، رجل الشعر يقطر رأسه ماء، واضعاً يديه على منكبي رجلين، وهو يطوف بالبيت، فقلت: من هذا؟ فقالوا: هذا المسيح بن مريم، ثم رأيت رجلاً وراءه جعداً قططا أعور العين اليمنى، كأشبه من رأيت بابن قطن، واضعاً يديه على منكبي رجل يطوف بالبيت فقلت: من هذا؟ قالوا: المسيح الدجال"[2].

وأنه لا يدخل المدينة:

عن أبي بكرة -رضي الله عنه- عن النبي -ﷺ- قال:" لا يدخل المدينة رعب المسيح الدجال لها يومئذ سبعة أبواب على كل باب ملكان "[3].

وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -ﷺ-:" على أنقاب المدينة ملائكة لا يدخلها الطاعون، ولا الدجال "[4].

وعن أنس بن مالك -رضي الله عنه- عن النبي -ﷺ- قال:" ليس من بلد إلا سيطؤه الدجال، إلا مكة والمدينة ليس له من نقابها نقب إلا عليه الملائكة صافين يحرسونها، ثم ترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفات، فيخرج الله كل كافر ومنافق "[5].

---

[1] (1) رواه البخاري:(1360) برقم:(7131) ومسلم:(1175) برقم:(2933).
[2] (2) رواه البخاري::(663) برقم:(3440) ومسلم:(95) برقم:(169).
[3] (3) رواه البخاري:(1360) برقم:(7126).
[4] (4) رواه البخاري:(1360) برقم:(7133).
[5] (1) رواه البخاري:(357) برقم:(1881) ومسلم:(1183) برقم:(2943).

وعن أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه- قال: حدثنا رسول الله -ﷺ- حديثاً طويلاً عن الدجال، فكان فيما حدثنا به أن قال:" يأتي الدجال، وهو محرَّم عليه أن يدخل نقاب المدينة، ينزل بعض السباخ التي بالمدينة، فيخرج إليه يومئذ رجل هو خير الناس، أو من خير الناس، فيقول: أشهد أنك الدجال الذي حدثنا عنك رسول الله -ﷺ- حديثه، فيقول الدجال: أرأيت إن قتلت هذا، ثم أحييه هل تشكون في الأمر؟ فيقولون: لا، فيقتله، ثم يحييه، فيقول حين يحييه: والله ما كنت قط أشد بصيرة مني اليوم. فيقول الدجال: أقتله، فلا أسلط عليه "[1].

ولقد أبانت السنّة المعتصم من فتنته وأن الإيمان عاصم منها:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله-: (إذا كان القلب معموراً بالتقوى انجلتْ له الأمورُ، وانكشفتْ، بخلاف القلب الخرابِ المظلم، قال حذيفة بن اليمان: " إن في قلب المؤمن سراجاً يزهر "[2].

وفي الحديث:" إنَّ الدجال مكتوبٌ بين عَيْنَيْه: كافرٌ، يقرؤه كل مؤمنٍ قارئٍ وغير قارئٍ "[3].

فدل على أن المؤمن يتبيَّن له ما لا يتبيَّنُ لغيره، ولا سيما في الفتن، وينكشف له حال الكذاب الوضاع على الله ورسوله؛ فإن الدجال أكذب خلق الله، مع أنَّ الله يُجري على يديه أموراً هائلةً، ومخارق مزلزلةً، حتى إن من رآه افتُتِنَ به، فيكشفها

---

[1] (2) رواه البخاري:(358) برقم:(1882) ومسلم:(1178) برقم:(2938).

[2] (?) لم أجده بهذا اللفظ، وقد رُوي نحوه عن حذيفة موقوفاً بلفظ:(القلوب أربعة: قلب أغلف فذلك قلب الكافر، وقلب مصفح فذلك قلب المنافق، وقلب أجرد فيه سراج يزهر فذاك قلب المؤمن، وقلب فيه نفاق وإيمان) رواه أبو نعيم الأصبهاني: الحلية (1/276)، وابن أبي شيبة: المصنف (6/168) برقم:(30404).

[3] (?)رواه مسلم: (1176)ـ برقم:(2934) بلفظ:" وإن الدجال ممسوح العين عليها ظفرة غليظة مكتوب بين عينيه: كافر يقرؤه كل مؤمن كاتب، وغير كاتب ".

الله للمؤمن حتى يعتقد كذبها وبطلانها.

وكلما قـوي الإيمـانُ في القلب قـوي انكشـاف الأمـور لـه، وعــرف حقائقها من بواطلهــا، وكلما ضــعف الإيمــان ضــعف الكشف، وذلك مثل السِّراج القوي والسِّراج الضعيف في البيت المظلم.

ولهذا قال بعض السلف في قوله: ﭽ ﯖ ﯗ ﯘﯙ ﭼ [النور:35]: هو المؤمن ينطق بالحكمة المطابقة للحـق، وإن لم يسـمع فيها بالأثر، فإذا سمع بالأثر كان نوراً على نورٍ)[1].

إن أهل الإيمان ليظهر لهم من دلائل الفتنة ما يكـون لهم به العصمة من الوقوع فيها. في الحـديث عن المغـيرة بن شـعبة ﭬ قال: ما سأل أحدٌ النبي ﷺ عن الـدجال أكـثر مما سـألته. قـال:" وما سـؤالك "؟ قـال: قلتُ: إنهم يقولـون: معه جبـالٌ من خـبزٍ ولحمٍ ونَهرٌ من ماءٍ، قال:" هو أهون على الله من ذلك "[2].

قال القاضي عياض – رحمه الله-: (معناه: هو أهون من أن يجعل ما يخلقه على يديه مضـلاًّ للمؤمـنين، ومشـككاً لقلـوب الموقـنين؛ بل لـيزداد الـذين آمنـوا إيمانـاً، ويرتـاب الـذين في قلوبهم مرضٌ، فهو مثل قول الذي يقتلـه: (ما كنت أشد بصـيرةً مني فيك) لا أن قوله: " هو أهـون على الله من ذلك " أنه ليس شـيءٌ في ذلك معـه، بل المـراد: أهـون من أن يجعل شـيئاً من ذلك آيـةً على صـدقه، ولا سـيما وقد جعل فيه آيـةً ظـاهرةً في كذبه وكفـره، يقرؤها من قـرأ ومن لا يقـرأ زائـدةً على شـواهد كذبه من حدثه ونقصه) [3].

فبذلك الإيمان تدفع الفتنة.

وفي الحــديث عن عمــران بن حصــين –رضي الله عنهمــا- قـال: قـال رسـول الله -ﷺ-:" من سَـمِعَ بالـدجال فلينـأ عنـه، فوالله إن الرجل ليأتيه وهو يحسب أنه مؤمنٌ، فيتَّبعه مما يبعث به من الشبهات "[4].

---

[1] (?) مجموع الفتاوى:(1/468).
[2] (?) رواه مسلم:(1179) برقم:(2939).
[3] (?) نقلاً عن النووي: شرح مسلم:(18/ 74).
[4] (?) رواه أبو داود:(471) برقم:(4319).

فظاهر من الحديث أن صحيح الإيمان لا يتبعه ولا يكون نهباً لتلك الشبهات إذا كان ما معه من الإيمان دافعاً للشبهات، أمَّا دعيُّ الإيمان فهو نهبة الشيطان المسلمُ للفتن.

ومما يشهد لذلك حديث أبي أمامة الباهلي -- في فتن الدجال: " وإن من فتنته أن يسلط على نفسٍ واحدةٍ فيقتلها، وينشرها بالمنشار، حتى يلقى شقتين، ثم يقول: انظروا إلى عبدي هذا؛ فإنّي أبعثه الآن، ثم يزعم أن له رباً غيري، فيبعثه الله، ويقول له الخبيث: من ربُّك؟ فيقول: ربي الله، وأنت عدوُّ الله، أنت الدجال، والله ما كنتُ أشدَّ بصيرةً بك مني اليوم "[1].

فهذا الرجل ومع اشتداد الفتنة وبلوغها أعظم درجاتها إلا أنه لما يزل بصيراً بالحق عالماً بالفتنة دافعاً لشرِّها عن نفسه وذلك لقوة إيمانه، وقوة علمه.

المبحث الثامن

التحذير من التلقي عن الإسرائيليات

(الإسرائيليات: جمع إسرائيلية، نسبة إلى بني إسرائيل، والنسبة في مثل هذا تكون لعجز المركب الإضافي لا لصدره)[2].

وبنو إسرائيل هم أبناء يعقوب- عليه الصلاة والسلام- وهو إسرائيل.

وبهذا الاسم سمَّاهم الله – تعالى – كما في قوله - تعالى-: ﭽ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭼ [البقرة:47].

[1] (?) رواه ابن ماجه:(439) برقم:(4077).
[2] (1) محمد أبو شهبه: الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير:(12) .

فالإسرائيلية هنا: أي الرواية الإسرائيلية سواء كانت لقصة، أو لقول، أو لحكم ونحو ذلك.

وسواءً أكانت مروية عن اليهود، أو النصارى.

ولقد كانت أخبار بني إسرائيل وأقوالهم معروفة في العرب قبل مبعث النبي-ﷺ- إذ كان اليهود يستفتحون على الذين كفروا من المشركين ويخبرونهم أن نبياً قد قرب زمانه، ويقولون: سنؤمن به، ونحاربكم معه، كما قال الله – عز وجل-: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭼ [البقرة:89].

وفي عهد رسول الله-ﷺ- كان مشركوا العرب يأخذون بآراء اليهود، ويسألونهم، كما حكا الله – عز وجل- ذلك في القرآن بقوله: ﭽ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﭼ [النساء:51].

وأما النبي-ﷺ- فقد كان يحدث بأخبار عن بني إسرائيل أوحيت إليه بنص القرآن، أو بالسنة كما في قصة أصحاب الكهف، أو قصة جريج الراهب ونحوها.

وكان يسمع بعض قول اليهود من كتبهم، فيقرُّ الحق في قولهم.

عن عبد الله بن مسعود – رضي الله عنه – قال: جاء حبر من الأحبار إلى رسول الله -ﷺ- فقال: يا محمد إنَّا نجدُ أن الله يجعل السموات على إصبع، والأرضين على إصبع، والشجر على إصبع، والماء والثرى على إصبع، وسائر الخلائق على إصبع، فيقول: أنا الملك، فضحك النبي-ﷺ- حتى بدت نواجذه تصديقاً لقول الحبر، ثم قرأ رسول الله -ﷺ-: ﭽ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﭼ [الزمر:67][1].

هذا في العقائد.

أما في الأحكام: فعن عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- أن اليهود جاؤوا إلى النبي -ﷺ- برجل منهم وامرأةٍ قد زنيا، فقال

[1] (1) رواه البخاري: (941) برقم:(4811) ومسلم:(1121) برقم:(2786).

لهم: " كيف تفعلـــــــون بمن زنى منكم؟" قـــــالوا: نحمِّمُهما ونضربهما، فقـال: " لا تجـدون في التـوراة الـرجم؟" فقـالوا: لا نجد فيها شـيئاً، فقــال لهم عبد الله بن سـلام: كـذبتم، فــأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين، فوضع مِدْرَاسُهَا الذي يُدرِّسُهَا منهم كفَّه على آية الرجم، فطفق يقرأ ما دون يده، وما وراءها، ولا يقرأ آية الرجم، فنزع يده عن آية الرجم، فقال: " ما هـذه؟" فلما رأوا ذلك قالوا: هي آية الرجم، فأمر بهما، فرجما قريباً من حيث موضع الجنـائز عند المسـجد، فـرأيت صـاحبها يجنأ عليها يقيها الحجارة[1].

وهو – عليه الصـلاة والسـلام – مع ذلك يحـذر أهل الإسـلام من التلقي عن أهل الكتـاب، ويـبين لهم كمـال هـذا الـدين ووضوحه.

فعن جـــــــابر بن عبد الله – رضي الله عنهما - أن عمر بن الخطاب– رضي الله عنه- أتى النبي -ﷺ- بكتاب أصـابه من بعض أهل الكتب، فقـرأه على النـبي -ﷺ- فغضب، فقـال: " أمتهوكـون فيها يا ابن الخطـاب؟ والـذي نفسي بيـده لقد جئتكم بها بيضـاء نقية، لا تسـألوهم عن شـيء، فيخـبروكم بحق، فتكـذبوا به، أو بباطل فتصدقوا به والذي نفسي بيـده لو أن موسى-ﷺ- كـان حيا ما وسعه إلا أن يتبعني "[2].

ومع هذا التحذير، فقد جاءت بعض الأحاديث المشعرة بجواز التحديث عن بني إسـرائيل، فعن عبد الله بن عمـرو- رضي الله عنهما- أن النبي -ﷺ- قال:" بلغوا عـني ولو آية، وحـدثوا عن بـني إسرائيل ولا حرج، ومن كذب علي متعمـداً، فليتبـوأ مقعـده من النار "[3].

---

[1] (1) رواه البخاري: (864) برقم:(4556) ومسلم:(705) برقم:(1699).

[2] (2) رواه أحمـد: المسـند:(23/ 349) بـرقم:(15156) وقـال شـعيب الأرنـؤوط:(إسناده ضعيف؛ لضعف مجالد) والـبيهقي: شـعب الإيمـان:(1/200) وابن أبي شـيبة في مصنفه: برقم:(26421) وابن كثير في تفسيره:(2/468) قال ابن حجر بعد أن سـاق طرقـه:(وهـذه جميع طـرق الحـديث، وهي وإن لم يكن فيها ما يحتج بـه، لكن مجموعها يقتضي أن لها أصلاً) فتح الباري:(13/404).

[3] (3) أخرجه البخاري:(666) برقم:(3461).

وكـان هـذا الحـديث ونحـوه مما فتح البـاب لأقـوامٍ من أهل العلم في التحديث عن بني إسرائيل، ونقل مروياتهم، فكان من الصحابة أمثال عبد الله بن عمرو – رضي الله عنهما- الذي كان يحـدث بما بلغه عن بـني إسـرائيل من كتبهم لما فهم من هـذا الحـديث الـذي رواه عن النـبي-- وقد ذكر مثل ذلك عن بعض الصـحابة:(غـير أن الصـحابة – رضـوان الله عليهم – كـانوا في رجـوعهم إلى أهل الكتـاب يسـيرون على المنهج القـويم الـذي رسمه لهم رسول الله--.

وكـانوا في عقـولهم ذلك المـيزان الشـرعي الـدقيق الـذي استخلصـوه من أحـاديث رسـول اللـه-- في شـأن الرجـوع إلى أهل الكتاب، فلم يكن سؤالهم لأهل الكتاب عن كل شـيء، ولم يكونـوا يصـدقونهم في كل شـيء – كما يقـول أعـداء الإسـلام، ومن جـــرى ويجـــري في ركـــابهم من المســـلمين- بل كـــانوا يسألونهم عن أشياءٍ لا تعدوا أن تكون توضيحاً لقصة من قصص القرآن، و بياناً لما أجمل منها، فإن ألقـوا إليهم بشـيء من ذلك تلقَّوه في حرص وحذق، وتفرسوه في دقة ورويةٍ، فما كـان منه على وفق شرعنا صدقوه، وما كان على خلافه كذبوه ورفضـوه، وما كان مسكوتاً عنه في شرعنا، ومتردداً بين احتمـال الصـدق والكذب توقفوا فيه فلا يحكمون عليه بصـدق، ولا بكـذب ما دام يحتمل كلا الأمرين؛ امتثالاً لقول رسول الله--:" لا تصدقوا أهل الكتاب، ولا تكذبوهم " وقولوا: ﭽ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭼ [البقرة:136] الآية[1].

كذلك لم يسأل الصحابة – رضـوان الله عليهم- أهل الكتـاب عن شيء مما يتعلق بالعقيدة، أو يتصل بالأحكام التي شرع الله لهم، اكتفاءً بما عنـدهم في ذلـك، اللهم إلا ما كـان من سـؤالهم لغرض الاستشهاد، والتأكيد لما جـاء به القـرآن الكـريم، وإلـزام المعاندين الحجة بشهادة ما في أيديهم من الكتاب.

كذلك كان الصـحابة لا يعـدلون عمَّا ثبت عن رسـول اللـه-- من ذلك إلى سؤال أهل الكتاب؛ لأنه إذا ثبت شـيء عن رسـول الله-- فليس لهم أن يعدلوا عنه إلى غيره، كما كانوا لا يسألون

[1] (1) رواه البخاري:(848) برقم:(4485).

عن الأشياء الـتي يشـبه أن يكـون السـؤال عنها نوعـاً من اللهو والعبث، كالسـؤال عن لـون كلب أهل الكهف ... ولقد بلغ الأمر بالصحابة أنهم كـانوا إذا سـألوا أهل الكتـاب عن شـيء فأجـابوا عنه خطأ ردّوا عليهم خطأهم، وبينوا لهم وجه الصواب فيه)[1] .

ثم من بعد توسع بعض التـابعين في الأخذ عن أهل الكتـاب، ولم يكن منهجهم في دقة منهج الصـــــحابة، ولكن هنا لابد من بيان ثلاثة ملاحظ:

الأول: أن كثيراً من هذه المرويـات عنهم لم تثبت بأسـانيد صـحيحة، فهي مرويـات فيها الغث والسـمين، والمسـند عنهم، والمنقطع، والضعيف، وغير ذلك.

الثـاني: أن المحـذور في روايـات التـابعين لأخبـار بـني إسرائيل أخف من المحذور في روايات الصحابة؛ إذ ما كـان من روايـات الصـحابة فـالأمر فيه شـديد؛ لأنه ينسب إلى النـبي -- وقصاره إلى الصـحابة أنفسـهم، ومحلهم من الـدين أعلى وأجل من التابعين.

الثـالث: أن جمعـاً من أهل الأهـواء اتخـذوا من هـذه تكـأة للطعن في السـنة، فضـخموا شـأن الإسـرائيليات، وزعموها من الكثرة بمكان، وليس الأمر كذلك.

حكم الأخذ بالإسرائيليات:

لقد وردت في الســـنة أحـــاديث تنهى عن الأخذ من بـــني إسرائيل.

فعن أبي هريـرة -رضي الله عنه- قـال: كـان أهل الكتـاب يقـرؤون التـوراة بالعبرانية ويفسـرونها بالعربية لأهل الإسـلام، فقـال رسـول الله--:" لا تصـدقوا أهل الكتـاب، ولا تكـذبوهم، وقولوا: ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﭼ [البقرة:136] "[2] .

---

(1) محمد حسين الذهبي: الإسرائيليات في التفسير والحديث:(72-74).
(2) رواه البخاري:(848) برقم:(4485).

وعن عمر بن الخطـاب– رضي الله عنـه- أنَّه أتى النـبي -ﷺ- فقـال: إنا نسـمعُ أحـاديث من يهـود تعجبنـا، أفـترى أن نكتب بعضـــها؟ فقـــال-ﷺ-: " أمتهوكـــون أنتم كما تهـــوكت اليهـــود والنصـارى؟! لقد جئتكم بها بيضـاء نقية، ولو كـان موسى-ﷺ- حياً ما وسعه إلا اتباعي "[1].

قال البغوي-رحمه الله-:(" أمتهوكون " أي: أمتحـيرون أنتم في الإسلام لا تعرفون دينكم؛ حتى تأخذوا من اليهود والنصـارى)[2].

وروى الإمـام أحمد – رحمه اللـه- عن ابن أبي نملة عن أبيه قــال: قــال رســول الله -ﷺ-:" إذا حــدثكم أهل الكتــاب، فلا تصدقوهم، ولا تكـذبوهم، وقولـوا آمنا بالله وكتبه، ورسـله، فـإن كان حقاً لم تكذبوهم، وإن كان باطلاً لم تصدقوهم "[3].

وعن عبد الله بن عمــرو بن العـاص-رضي الله عنهمـا- عن رسول الله-ﷺ-أنه قال:" من اقـتراب السـاعة أن ترفع الأشـرار، وتوضع الأخيـار، ويفتح القـول، ويخــزن العمل، ويقــرأ بــالقوم المثنـــاة ليس فيهم أحد ينكرها " قيل: وما المثنــاة؟ قــال: " ما أكتتبت سوى كتاب الله - عز وجل - "[4].

قــال أبو عبد الله القاسم بن ســلَّام- رحمه اللــه-:(ســألت رجلاً من أهل العلم بـــــــــالكتب الأولى قد عرفها وقرآها عن المثنـاة؟ فقــال: إنَّ الأحبـار والرهبـان من بـني إسـرائيل بعد موسى وضـعوا كتابـاً فيما بينهم على ما أرادوا من غـير كتـاب

(1) رواه أحمد: " المسند ":(23/ 349) برقم:(15156) وقال شعيب الأرنؤوط:(إسناده ضعيف؛ لضعف مجالد) والبيهقي: شـعب الإيمـان:(1/200) وابن أبي شـيبة في مصنفه:( ) برقم:(26421) وابن كثير في تفسيره:(2/468) قال ابن حجر بعد أن ساق طرقه:(وهـذه جميع طـرق الحـديث، وهي وإن لم يكن فيها ما يحتج به، لكن مجموعها يقتضي أن لها أصـلاً) فتح البـاري:(13/404) واللفظ للـبيهقي: شـعب الإيمان:(1/200).

(2) شرح السنة:(1 /271).

(3) رواه أحمد: 28/ 460) برقم:(17225) وقال شعيب الأرنؤوط:(إسناده حسن) وأبو داود:(403) برقم:(3644) وابن حبان:(14/ 151) بـرقم:(6257)، والـبيهقي في الكبرى:(2/ 10) برقم: (2071).

(4) رواه الحاكم في المستدرك:(4/ 597) برقم:(8661) وقال:(صحيح الإسناد ولم يخرجـاه) ووافقه الـذهبي، وقـال الهيثمي:(رجاله رجـال الصـحيح) مجمع الزوائـد:(7/3260).

الله- تبارك وتعالى- فسموه المثناة، كأنه يعني أنهم أحلّوا فيه ما شاؤوا، وحرموا فيه ما شاؤوا على خلاف كتاب الله - تبارك وتعالى-)[1].

وعن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال:(كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء؟! وكتابكم الذي أنزل على رسول الله -ﷺ- أحدثُ تقرؤونه محضاً لم يُشَبْ، وقد حدثكم أن أهل الكتاب بدلوا كتاب الله وغيَّروه، وكتبوا بأيديهمُ الكتاب، وقالوا: هو من عند الله؛ ليشتروا به ثمناً قليلاً، ألا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسألتهم؟! لا والله ما رأينا منهم رجلاً يسألكم عن الذي أنزل عليكم)[2].

وروى ابن عبد البر – رحمه الله – عن عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- أنه قال:(لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء، فإنهم لن يهدوكم، وقد أضلوا أنفسهم، فتكذبون بحق، أو تصدقون بباطل.

إن كنتم سائليهم لا محالة، فانظروا ما واطأ – وفي لفظ: ما قضى- كتاب الله فخذوه، وما خالف كتاب الله فدعوه)[3].

فهذه الأحاديث والآثار دالة على حرمة الأخذ عن بني إسرائيل ابتداءً، وأنه إذا سمع الحديث منهم لم يصدق، ولم يكذب.

ولكن وردت نصوص تنفي الحرج عن التحديث عن بني إسرائيل.

فقد روى أبو داود – رحمه الله- عن أبي هريرة – رضي الله عنهما – أن رسول الله-ﷺ- قال:" حدثوا عن بني إسرائيل، ولا حرج "[4].

---

[1] (1) غريب الحديث:(4/282).

[2] (2) رواه البخاري:(1402) برقم:(7363).

[3] (3) جامع بيان العلم:(2/90) ورواه عبد الرزاق في مصنفه:(10/312) وقال ابن حجر:(سنده حسن) فتح الباري:(13/345) واللالكائي: اعتقاد أهل السنة:(4/743).

[4] (1) رواه البخاري:(666) برقم:(3461).

وفي الحديث الآخر عن عبد الله بن عمرو بن العاص- رضي الله عنهما - أن النبي-ﷺ- قال:" بلغوا عني ولو آية، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، ومن كذب علي متعمداً، فليتبوأ مقعده من النار "[1].

والذي يظهر – والله أعلم- أن هذه الإباحة في التحديث عن بني إسرائيل تحمل على أحد محامل:

الأول: حملها على ما علمنا صحته مما بأيدنا، فشهدت له شريعتنا بالصحة، أو على ما هو مسكوت عنه؛ إذ ما كان مسكوتاً عنه غير معلوم الصحة، أو البطلان من شريعتنا، فإنه تجوز حكايته مع عدم التكذيب، أو التصديق؛ إذ المنقول عن بني إسرائيل:(لا يجوز تصديقه، ولا تكذيبه إلا بحجة)[2].

نقل ابن حجر – رحمه الله- عن الإمام الشافعي – رحمه الله- قوله:(من المعلوم أن النبي-ﷺ- لا يجيز التحدث بالكذب، فالمعنى: حدثوا عن بني إسرائيل بما لا تعلمون كذبه، وأما ما تجوزونه، فلا حرج عليكم في التحدث به عنهم، وهو نظير قوله: " إذا حدثكم أهل الكتاب، فلا تصدقوهم، ولا تكذبوهم " ولم يرد الإذن ولا المنع من التحدث بما يقطع بصدقه)[3].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله-:(فإذا كنا قد نهينا عن تصديق هذا الخبر، وأمثاله مما يؤخذ عن أهل الكتاب لم يجز لنا أن نصدقه إلا أن يكون مما يجب علينا تصديقه، مثل: ما أخبرنا به نبينا عن الأنبياء، وعن أممهم، فإن ذلك يجب تصديقه مع الاحتراز في نقله)[4].

قال الحافظ ابن حجر – رحمه الله- في بيان قوله-ﷺ-:" لا تصدقوا أهل الكتاب، ولا تكذبوهم ":(أي إذا كان ما يخبرونكم به محتملاً؛ لئلا يكون في نفس الأمر صدقاً فتكذبوه، أو كذباً فتصدقوه، فتقعوا في الحرج، ولم يرد النهي عن تكذيبهم فيما

---

[1] (2) سبق تخريجه:(65).
[2] (3) شيخ الإسلام ابن تيمية: مجموع الفتاوى:(13/345).
[3] (4) فتح الباري:(6/575-576).
[4] (1) الرد على البكري:(21).

ورد شــرعنا بخلافه، ولا عن تصــديقهم فيما ورد شــرعنا بوفاقه نبه على ذلك الشافعي -رحمه الله-)[1].

ويقول أيضاً في معنى قوله-ﷺ-:" حـدثوا عن بـني إسـرائيل، ولا حرج ":(وقال مالك: المراد جواز التحدث عنهم بما كان من أمر حسن، أما ما علم كذبه فلا)[2].

وقال الحافظ ابن كثير – رحمه الله-:(إذا تقرر جواز الرواية عنهم، فهو محمــول على ما يمكن أن يكــون صــحيحاً؛ فأما ما يعلم بطلانه؛ لمخالفته الحق الذي بأيـدينا عن المعصـوم، فـذاك مردود لا يعرج عليه ثم مع هذا لا يلزم من جواز روايته أن تعتقد صحته)[3].

الثاني: التحـديث عنهم أي: عن أخبـارهم الـتي ذكـرت في القرآن، كقصة: أصحاب الكهف، وقصة: صاحب الجنـتين، أو مما ذكر في الســنة، كقصــة: الأقــرع، والأبــرص، والأعمى، وقصة الثلاثة أصحاب الغار، وقصة جريج الراهب، وغيرها.

عن عبد الله بن عمرو – رضي الله عنهما- قـال:(كـان نـبي الله يحدثنا عن بني إسرائيل؛ حتى يصـبح ما يقـومُ إلا إلى عُظمِ صلاة)[4].

وروى الهيثمي – رحمه الله – عن جـابر بن عبد الله – رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله-ﷺ-:" حدثوا عن بـني إسـرائيل، فإنه كان فيهم العجائب "[5].

الثالث: التحديث عنهم من باب الــذكرى والموعظة لا على سبيل اعتقاد صحتها قال الشـيخ أحمد شـاكر – رحمه الله – في بيــان ســبب تحــديث بعض الصــحابة – رضــوان الله عليهم- بالإسرائيليات:(لأن كثيراً منهم – رضوان الله عليهم- كان يروي

---

[1] (2) فتح الباري:(8/170).
[2] (3) المصدر نفسه:(6/575).
[3] (4) البداية والنهاية:(2/133).
[4] (1) رواه أبو داود:(405) برقم:(3663)، والبزار في مسنده:(9/67) وابن حبان:(14/148) برقم:(6255) قال شعيب الأرنؤوط:(إسناده صحيح على شـرط مسـلم) وقال الهيثمي: (إسناده حسن مجمع الزوائد):(8/264)
[5] (2) مجمع الزوائـد:(1/191) وقـال:(رواه الـبزار عن شـيخه جعفر بن محمد بن أبي وكيع عن أبيه ولم أعرفهما وبقية رجاله ثقات).

الإسرائيليات عن أهلال الكتاب على سبيل الـذكرى والموعظـة؛ لا بمعنى أنهم يعتقدون صحتها، أو يستجيزون نسبتها إلى رسول الله-ﷺ- حاشا وكلا)[1].

ويفهم هذا من كلام بعض أهل العلم.

قال ابن حجر- رحمه الله-:(وكـأن النهي وقع قبل اسـتقرار الأحكـام الإسـلامية، والقواعد الدينية؛ خشـية الفتنة، ثم لما زال المحذور، وقع الإذن في ذلك لما في سماع الأخبـار الـتي كـانت في زمانهم من الاعتبار)[2].

والمنقول عن بني إسرائيل فضلاً عن أن أصـله غـير معلـوم فلا يصدق، ولا يكذب وذلك قبل وصوله إلينا، فإنه بعد وصوله لم يعتن العلمــاء بــه، ولم يجد من العناية في النقــل، والتثبت من أحــوال النقلة عشر معشــار ما لقيه حــديث النــبي-ﷺ- أو الآثــار المروية عن صحابته – رضوان الله عليهم- (فعلماء الـدين أكـثر ما يحـررون النقل فيما نقل عن النـبي-ﷺ- لأنه واجب القبـول، أو فيما ينقل عن الصحابة، وأما ما ينقل عن الإسـرائيليات، ونحوها فهم لا يكـترثون بضـبطها، ولا بـأحوال نقلهـا؛ لأن أصـلها غــير معلـوم، وغايتها أن تكـون عن واحد من علمـاء أهل الكتـاب، أو أخذه عن أهل الكتاب)[3].

ويتبين من هذا أنه لا يجوز ما يجري عليه كثير من المـؤلفين اليــوم - خاصة في موضــوع الفتن - من الرجــوع إلى كتب أهل الكتـاب، والأخذ عنهم اعتمـاداً على ما ورد من قـول النـبي-ﷺ-:"

[1] (3) الباعث الحثيث:(47).
[2] (4) فتح الباري:(6/575).
[3] (1) ابن تيمية: الرد على البكري:(21).

حـدثوا عن بـني إسـرائيل، ولا حـرج " ذلك أن ما روي عن بـني إسرائيل لا يخرج عن ثلاثة أقسام:

القسم الأول: ما علمنا صـــدقه مما بأيـــدنا من القـــرآن والسـنة، فهـذا (القسم صـحيح، وفيما عنـدنا غنية عنـه، ولكن يجـوز ذكـره، وروايته للاستشـهاد بـه، ولإقامة الحجة عليهم من كتبهم، وذلك مثـل: ما ذكر في صـاحب موسـى- عليه الصـلاة والسلام- وأنه الخضر، فقد ورد في الحديث الصحيح، ومثـل: ما يتعلق بالبشارة بـالنبي -ﷺ- وبرسـالته، وأنَّ التوحيد هو دينُ جميع الأنبياء مما غفلوا عن تحريفه، أو حرفوه، و لكن بقي شعاع منه يدل على الحق.

وفي هذا القسم ورد قوله-ﷺ-: " بلغوا عـني ولو آية، وحـدثوا عن بـني إسـرائيل ولا حـرج، ومن كـذب علي متعمـداً، فليتبـوأ مقعده من النار "[1])[2].

ومع ذلك أرى التحفظ من سـوق نصـوص أهل الكتـاب من هذا القبيل في الكتب؛ لأن ذلك قد يـورث أبنـاء الأمة الإسـلامية تعظيمـاً لكتب بـني إسـرائيل واستشـرافاً لقـراءة ما فيهـا، وما دامت الأمة في غنية عن هــذا بكتابها وسـنة رسـولها -ﷺ- فلا حاجة لها بما هو حق من كلام بني إسرائيل.

إن الـــدمج بين كلام الله – عز وجـــل- في القـــرآن، وكلام رسـوله -ﷺ- وبين كلام بـني إسـرائيل في كتبهم فيه تسـوية بين هذا وذاك، وأي وجه من وجوه التسوية يمكن أن يكون.

القسم الثاني: (ما علمنا كذبه عنـدنا مما يخالفـه، وذلك ما ذكـــروه في قصص الأنبياء من أخبـــار تطعن في الأنبيـــاء – عليهم الصلاة والسـلام- كقصة يوسـف، وداود، وسـليمان، ومثل ما ذكروه في توراتهم: من أن الذبيح إسحاق لا إسماعيل، فهــذا لا تجوز روايته، وذكره إلا مقترناً ببيـان كذبـه، وأنَّه مما حرفـوه، وبدلوه قال تعالى: ﴿ ... ﴾ [المائدة: 41].

---

[1] (1) سبق تخريجه:(65).
[2] (2) محمد أبو شهبة: الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير:(106).

وفي هذا القسم ورد النهي عن النبي للصحابة عن روايته، والزجر عن أخذه عنهم، وسؤالهم عنه، قال الإمام مالك – رحمه الله- في حديث:"حدثوا عن بني إسرائيل، ولا حرج " المراد: جواز التحدث عنهم بما كان من أمر حسن، أما ما علم كذبه فلا.

ولعل هذا هو المراد من قوله-ﷺ- " يا معشر المسلمين: كيف تسألون أهل الكتاب؟ وكتابكم الذي أنزل على نبيكم أحدثُ تقرأونه لم يُشَبْ، وقد حدثكم الله أن أهل الكتاب بدلوا كتاب الله وغيَّروه، وكتبوا بأيديهمُ الكتاب، وقالوا:(هو من عند الله؛ ليشتروا به ثمناً قليلاً) لا والله ما رأينا منهم رجلاً يسألكم عن الذي أنزل عليكم ")[1].

وهذا القسم، ولا شك قد تعبدنا بردِّه؛ إذ علم في الأصل أن كل قول كاذب لا يجوز نقله لا عن نبي إسرائيل، ولا عن غيرهم، والمكذوب من أقوال بني إسرائيل اجتمعت فيه آفتان:

1- أنه من الإسرائيليات.

2- أنه مكذوب.

القسم الثالث: (ما هو مسكوتٌ، لا من هذا، ولا من ذاك، فلا نؤمن به، ولا نكذبه؛ لاحتمال أن يكون حقاً فنكذبه، أو باطلاً فنصدقه، وتجوز حكايته لما تقدم من الإذن في الرواية عنهم، ولعل هذا القسم هو المراد بما رواه أبو هريرة - رضي الله عنه- قال: كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام، فقال رسول الله-ﷺ-:" لا تصدقوا أهل الكتاب، ولا تكذبوهم، وقولوا: ﭽ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭼ [البقرة:136] "[2].

ومع هذا فالأولى عدم ذكره، وأن لا نضيع الوقت في الاشتغال به، وفي هذا المعنى ورد حديث أخرجه الإمام أحمد، وابن أبي شيبة والبزار من حديث جابر: أن عمر أتى النبي -ﷺ- بكتاب أصابه من بعض أهل الكتب، فقرأه عليه فغضب، وقال:

---

[1] (1) المصدر السابق:(107).

[2] (2) سبق تخريجه:(66).

" لقد جئتكم بها بيضاء نقية، لا تسألوهم عن شيء، فيخبروكم بحق، فتكذبوا به، أو بباطل فتصدقوا به والذي نفسي بيده لو أن موسى -- حياً ما وسعه إلا أن يتبعني "[1])[2].

وهذه الأقوال التي لم يقم دليل على صدقها، وحكيت يجب ألاَّ تصدق، فلقد نهينا عن التصديق.

قال العلامة أحمد شاكر – رحمه الله -:(إن إباحة التحدث عنهم فيما ليس عندنا دليل صدقه، ولا كذبه شيء، وذكر ذلك في تفسير القرآن، وجعله قولاً أو روايةً في معنى الآيات، أو في تعيين ما لم يعين فيها، أو في تفصيل ما أجمل منها شيء آخر؛ لأن في إثبات مثل ذلك بجوار كلام الله ما يوهم أن هذا الذي لا نعرف صدقه، ولا كذبه مبين لمعنى قول الله – سبحانه – ومفصل لما أجمل فيه، وحاشا لله وكتابه.

وإن رسول الله-- إذ أذن بالتحديث عنهم أمرنا أن لا نصدقهم، ولا نكذبهم، فأي تصديق لرواياتهم، وأقاويلهم أقوى من أن نقرنها بكتاب الله، ونضعها منه موضع التفسير أو البيان؟! اللهم عفواً)[3].

وأما استخدام هذه النقول عن بني إسرائيل في مجادلة أهل الكتاب، أو لإقامة الحجة عليهم فإنه لا يجوز؛ لأنه لا يستخدم في الحجة إلا ما كان حقاً وصدقاً، وأما ما لم يتبين صدقه أو كذبه، فلا يجوز الاستدلال به؛ لأن الباطل لا يبنى عليه إقامة حق، وفي معنى الباطل ما لم يثبت عندنا صحته.

---

[1](3) سبق تخريجه:(68).

[2](1) محمد أبو شهبة: الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير:(107-108) وانظر هذا التقسيم عند: ابن كثير: تفسير القرآن العظيم:(1/8-9).

[3](2) عمدة التفسير:(1/15).

المبحث التاسع

التحذير من الأئمة المضلين

قال تعالى: ﭽ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﭼ [الأعراف: 175- 177].

قال ابن سعدي- رحمه الله-:(يقول تعالى لنبيه-ﷺ-: { ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ } أي: علمناه كتاب اللّه، فصار العالم الكبير والحبر النحرير.

{ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ } أي: انسلخ من الاتصاف الحقيقي بالعلم بآيات اللّه، فإن العلم بذلك، يصير صاحبه متصفا بمكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال، ويرقى إلى أعلى الدرجات وأرفع المقامات، فترك هذا كتاب اللّه وراء ظهره، ونبذ الأخلاق التي يأمر بها الكتاب، وخلعها كما يخلع اللباس.

فلما انسلخ منها أتبعه الشيطان، أي: تسلط عليه حين خرج من الحصن الحصين، وصار إلى أسفل سافلين، فأزه إلى المعاصي أزا.

{ﮢ ﮣ ﮤ} بعد أن كان من الراشدين المرشدين.

وهذا لأن اللّه تعالى خذله ووكله إلى نفسه، فلهذا قال تعالى:{ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ} بأن نوفقه للعمل بها، فيرتفع في الدنيا والآخرة، فيتحصن من أعدائه.

{ ﮩ ﮪ} فعل ما يقتضي الخذلان، فـ:{ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ} أي: إلى الشهوات السفلية، والمقاصد الدنيوية.

{ﮯ ﮰ} وترك طاعة مولاه { ﮱ } في شدة حرصه على الدنيا وانقطاع قلبه إليها، { ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ } أي: لا يزال لاهثا في كل حال، وهذا لا يزال حريصا، حرصا قاطعا قلبه، لا يسد فاقته شيء من الدنيا.

{ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ } بعد أن ساقها اللّه إليهم، فلم ينقادوا لها، بل كذبوا بها وردوها، لهوانهم على اللّه، واتباعهم لأهـوائهم، بغير هدى من اللّه.

{ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ } في ضرب الأمثال، وفي العبر والآيـات، فـإذا تفكروا علموا، وإذا علموا عملوا.

{ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ } أي: ساء وقبح، مثل من كذب بآيات اللّه، وظلم نفسه بأنواع المعاصي، فإن مثلهم مثل السوء، وهذا الذي آتاه اللّه آياته، يحتمل أن المراد به شـخص معين، قد كـان منه ما ذكـره اللّـه، فقص اللّه قصـته تنبيها للعبـاد. ويحتمل أن المراد بذلك أنه اسم جنس، وأنه شـامل لكل من آتـاه اللّه آياته فانسلخ منها.

وفي هذه الآيات الترغيب في العمل بـالعلم، وأن ذلك رفعة من اللّه لصـاحبه، وعصـمة من الشـيطان، والـترهيب من عـدم العمل به، وأنه نـزول إلى أسـفل سـافلين، وتسـليط للشـيطان عليه، وفيه أن اتبـاع الهـوى، وإخلاد العبد إلى الشـهوات، يكـون سبباً للخذلان)[1].

وقال تعالى: ﭽ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﭼ[الجمعة: 5] .

قال ابن كثير -رحمه الله-:(يقول -تعالى- ذامّاً لليهود الـذين أعطوا التـوراة وحملوها للعمل بهـا، فلم يعملـوا بهـا، مثلهم في ذلك كمثل الحمار يحمل أسفاراً، أي: كمثل الحمار إذا حمل كتباً لا يـدري ما فيهـا، فهو يحملها حملاً حسـياً، ولا يـدري ما عليه. وكذلك هؤلاء في حملهم الكتاب الذي أوتوه، حفظـوه لفظاً ولم يفهموه، ولا عملـوا بمقتضـاه، بل أولـوه وحرفـوه وبـدلوه، فهم أسوأ حالاً من الحمير؛ لأن الحمار لا فهمَ لـه، وهـؤلاء لهم فهـوم لم يستعملوها؛ ولهذا قال في الآية الأخرى: ﭽ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭼ [الأعراف: 179] وقال هاهنا: { ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ })[2].

---

[1] (1) تيسير الكريم:(308- 309).
[2] (2) تفسير القرآن العظيم:(8/117).

قال ابن القيم-رحمه الله-:(فهذا المثل وإن كـان قد ضـرب لليهود، فهو متناول من حيث المعـنى لمن حمل القـرآن، فـترك العمل به، ولم يؤد حقه، ولم يرعه حق رعايته)[1].

وعن قيس ابن أبي حازم قال: دخل أبو بكر على امـرأة من أحمس يقـــال لها زينب فرآها لا تكلم فقـــال: ما لها لا تكلم؟ قالوا: حجت مصمتة. قال لها: تكلمي، فإن هذا لا يحل؟ هذا من عمل الجاهلية. فتكلمت، فقـــالت من أنت؟ قـــال: امـــرؤ من المهاجرين. قالت: أي المهاجرين؟ قال: من قريش. قـالت: من أي قريش أنت؟ قال: إنك لسـؤول، أنا أبو بكر. قـالت: ما بقاؤنا على هـذا الأمر الصـالح الـذي جـاء الله به بعد الجاهلية؟ قـال: بقاؤكم عليه ما استقامت بكم أئمتكم.

قـالت: وما الأئمة؟ قـال: أما كـان لقومك رؤوس وأشـراف يـــأمرونهم فيطيعـــونهم؟ قـــالت: بلى. قـــال: فهم أولئك على الناس[2].

قال ابن حجر-رحمه الله-:(قولها:(ما بقاؤنا على هـذا الأمر الصالح) أي: دين الإسلام، وما اشتمل عليه من العدل، واجتماع الكلمة، ونصر المظلوم، ووضع كل شيء في محله.

قوله:(ما اســتقامت بكم) في رواية الكشـــميهني (لكم) قوله:(أئمتكم) أي: لأن الناس على دين ملوكهم، فمن حاد من الأئمة عن الحال مال، وأمال)[3].

قال ابن تيمية -رحمـه اللـه- عنـد قولـه:(ما اسـتقامت لكم أئمتكم):(ويدخل فيهم الملوك والمشايخ وأهل الـديوان ؛ وكل من كـان متبوعاً، فإنه من أولي الأمر وعلى كل واحد من هـؤلاء أن يــــأمر بما أمر الله به وينهى عما نهى عنه، وعلى كل واحد ممن عليه طاعته أن يطيعه في طاعة الله ؛ ولا يطيعه في معصية الله)[4].

---

[1] (3) إعلام الموقعين:(1/165).
[2] (1) أخرجه البخاري:(728) برقم:(3834).
[3] (2) الفتح:(7/151).
[4] (3) الفتاوى:(28/170).

وقال ابن تيمية-رحمه الله-:(ومعلوم أنه إذا استقام ولاة الأمور، الذين يحكمون في النفوس والأموال؛ استقام عامة الناس، كما قال أبو بكر الصديق فيما رواه البخاري في صحيحه للمرأة الأحمسية لما سألته فقالت: ما بقاؤنا على هذا الأمر الصالح ؟ قال: ما استقامت لكم أئمتكم.

وفي الأثر: صنفان إذا صلحوا صلح الناس: العلماء، والأمراء.

أهل الكتاب، وأهل الحديد)[1].

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص- رضي الله عنهما- قال: سمعت رسول الله -ﷺ- يقول:" إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالماً؛ اتخذ الناس رؤوساً جهالاً، فسئلوا، فأفتوا بغير علم، فضلوا، وأضلوا "[2].

قال النووي-رحمه الله-:(هذا الحديث يبين أن المراد بقبض العلم في الأحاديث السابقة المطلقة ليس هو محوه من صدور حفاظه، ولكن معناه: أنه يموت حملته، ويتخذ الناس جهالاً يحكمون بجهالاتهم، فيَضلون ويُضلون) وأضاف:(وفيه التحذير من اتخاذ الجهال رؤساء)[3].

وقال ابن حزم -رحمه الله-:(لا آفة على العلوم وأهلها أضر من الدخلاء فيها وهم من غير أهلها، فإنَّهم يجهلون ويظنُّون أنَّهم يعلمون، ويفسدون ويقدرون أنهم يصلحون)[4].

وعن أبى أمامة - رضي الله عنه- عن رسول الله -ﷺ- أنه قال:" خذوا العلم قبل أن يذهب " قالوا: وكيف يذهب العلم يا نبي الله وفينا كتاب الله؟ قال: فغضب لا يغضبه الله ثم قال:" ثكلتكم أمهاتكم أولم تكن التوراة والإنجيل في بنى إسرائيل فلم يغنيا عنهم شيئاً؟ إن ذهاب العلم أن يذهب حملته، إن ذهاب العلم أن يذهب حملته "[5].

---

[1] (1) الفتاوى:(10/354).
[2] (2) رواه البخاري:(45) برقم:(100) ومسلم:(1072) برقم:(2673).
[3] (3) شرح مسلم:(16/ 223- 225).
[4] (4) مداواة النفوس:(67).

وعن أنس -رضي الله عنه- عن النَّبيِّ -ﷺ- قال:" بين يدي الساعة سنُونَ خدَّاعةٌ، يتَّهم فيها الأمين، ويؤتمن فيها المتَّهم، وينطق فيها الرُّويبضةُ " قالوا: وما الرويبضَةُ؟ قال:" السَّفيه ينطق في أمر العامَّة "[1].

قال ابن رجب- رحمه الله-:(إنَّه إذا صار الحفاةُ العراةُ رعاءُ الشاءِ - وهم أهلُ الجهل والجفاء - رؤوسَ الناس، وأصحابَ الثروة والأموال، حتّى يتطاولوا في البنيان، فإنَّه يفسد بذلك نظامُ الدين والدنيا، فإنَّه إذا رَأسَ الناسَ من كان فقيراً عائلاً، فصار ملكاً على الناس، سواء كان مُلكُه عاماً أو خاصاً في بعض الأشياء، فإنَّه لا يكادُ يعطي الناسَ حقوقَهم، بل يستأثر عليهم بما استولى عليهم من المال، فقد قال بعض السَّلف: لأنْ تمدَّ يدكَ إلى فم التِّنين، فيقضمها، خيرٌ لك من أن تمدَّها إلى يد غنيٍّ قد عالج الفقر.

وإذا كان مع هذا جاهلاً جافياً، فسد بذلك الدين؛ لأنَّه لا يكون له همة في إصلاح دين الناس ولا تعليمهم، بل هِمته في جباية المال واكتنازه، ولا يُبالي بما فسد من دينِ الناسِ، ولا بمن ضاعَ من أهل حاجاتهم.

وإذا صار ملوك الناس ورؤوسهم على هذه الحال، انعكست سائر الأحوال، فصُدِّقَ الكاذبُ، وكُذِّبَ الصادقُ، وائتُمِنَ الخائنُ، وخوِّنَ الأمينُ، وتكلَّمَ الجاهلُ، وسكتَ العالم، أو عُدِمَ بالكلية .. وهذا كله من انقلاب الحقائق في آخر الزمان وانعكاس الأمور)[2].

---

[5] (5) رواه الدارمي:(1/68)ـ برقم:(246)ـ وقال حسين سليم أسد:(إسناده ضعيف لضعف حجاج بن أرطاة، ولكنه حديث حسن بشواهده).

[1] (1) أحمد في مسنده (21/23) برقم:(13297) وقال شعيب الأرنؤوط:(حديث حسن) والطبراني: الأوسط(3/ 313) برقم:(3258)ـ وابن ماجة:(434) برقم:(4036) والحاكم: المستدرك:(4/ 557) برقم:(8564) وقال:(حديث صحيح الإسناد) ووافقه الذهبي.

[2] (2) جامع العلوم والحكم:(1/139-140).

وعن عمر بن الخطاب - رضي الله عنـه- أن رسـول الله -ﷺ- قال:" إن أخوف ما أخـاف على أمـتي كل منـافق عليم اللسـان "[3].

قـال ابن حبـان – رحمـه اللـه-:(ذكر تخـوف المصـطفي -ﷺ- أمته مجانبتهم الطريق المستقيم بانقيادهم للأئمة المضلين) ثم ساق هذا الحديث: عن شداد بن أوس قال: قال نـبي الله -ﷺ-: " إني لا أخـاف على أمـتي إلا الأئمة المضـلين، وإذا وضع السـيف في أمتي لم يرفع عنهم إلى يوم القيامة "[2].

قال ابن عبد البر- رحمه اللـه-:(وشـبه الحكمـاء زلة العـالم بانكسار السفينة، لأنها إذا غرقت غرق معها خلق كثير، وإذا صح وثبت أن العالم يزل، ويخطئ لم يجز لأحد أن يفتي ويدين بقول لا يعرف وجهه)[3].

وعن أبي ذر - رضي الله عنه- قال: كنت مخاصراً للنــبي -ﷺ- يوماً إلى منزله، فسمعته يقول: " غير الدجال أخوف على أمتي من الدجال، الأئمة المضلون "[4] .

قال النووي-رحمه الله-:(معناه أن الأشياء التي أخافها على أمتي أحقها بأن تخاف الأئمة المضلون)[5].

قال المناوي-رحمه الله-:(قال ابن العربي: هذا لا ينافي خبر لا فتنة أعظم من فتنة الدجال لأن قوله هنا:" غير الدجال " إنما قاله لأصحابه؛ لأن الذي خافه عليهم أقرب إليهم من الدجال، فالقريب المتيقن وقوعه، لمن يخاف عليه يشتد الخوف منه على البعيد المظنون وقوعه به، ولو كان أشد)[6].

الفهرس

---

[3] (3) أخرجه أحمد:(1/ 289) برقم:(143) قال شعيب الأرنؤوط:(إسناده قوي).
[2] (1) صحيح ابن حبان:(10/ 431) بـرقم:(4570) وقـال شـعيب الأرنـؤوط:(إسـناده صحيح) وأحمد:(28/ 340) برقم:(17115).
[3] (2) جامع بيان العلم:(2/225).
[4] (3) أخرجه أحمد:(45/ 478) برقم:(27485) وقال شعيب الأرنؤوط:(صحيح لغيره).
[5] (4) شرح صحيح مسلم:(18/64).
[6] (5) فيض القدير:(4/ 407).

المقدمة...- 2 -
المبحث الأول..- 4 -
التحذير من الفرق المخالفة لهذا لمنهج الحق..............- 4 -
المبحث الثاني...- 15 -
التحذير من أعمال أهل الضلال............................- 15 -
المبحث الثالث...- 24 -
ذكر أخبار الأمم لأخذ العبرة من أسباب ضلالهم.........- 24 -
المبحث الرابع...- 30 -
التحذير من أوصاف معينة..............................- 30 -
المبحث الخامس...- 35 -
التحذير من الإحداث والابتداع.............................- 35 -
من وصايا السلف في التحذير من أهل البدع:............- 39 -
المبحث السادس..- 40 -
التحذير من الفتن...- 40 -
المبحث السابع..- 47 -
التحذير من الدجال.......................................- 47 -
أحاديث الدجال متواترة:....................................- 47 -
فتنة الدجال أعظم الفتن:..................................- 48 -
مكان خروج الدجال:..- 52 -
المبحث الثامن..- 56 -
التحذير من التلقي عن الإسرائيليات.......................- 56 -
حكم الأخذ بالإسرائيليات:.................................- 60 -
المبحث التاسع..- 69 -
التحذير من الأئمة المضلين...............................- 69 -